مؤسسة الصحافة والنشر

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٢٧

العدد الثاني

نوفمبر ٢٠٠٦م

رمضان ١٤٢٧هـ

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

الداعية الإسلامي الكبير معالي الشيخ عبدالله العلي المطوع في ذمة الله تعالى

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ، الهند الهاتف:٠٠٩١-٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)

Tel : 0091-522-2741235, 2741272 Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e-mail : theal-baas@nadwatululama.org

0091-522-2741221, 2741231

R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Regd. No. LW-NP/642006 To 2008

AL-BAAS-EL- ISLAMI

(Issue-01)

(Sep, Oct. 2006)

إصدارات جديدة:

حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج

بقلم الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي

ص ـ ب ١١٩ ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

رقم الهاتف :٢٧٤١٥٣٩ـ٠٥٢٢

فاكس : ٢٧٤٠٨٠٦ـ٠٥٢٢

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Kakori Offset Press, Lucknow. U.P.

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند

مائتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم : "البعث الإسلامي"

(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT

WA NASHRIYAT

P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)

Pin : 226 007 (INDIA)

***

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج – بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية – منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

برقية تعزية من ندوة العلماء

على وفاة الداعيه الإسلامي الكبير معالي الشيخ عبدالله العلي المطوع رحمه الله

إلى حضرة الأخ الكريم سعادة الشيخ **عبدالرحمن بن عبدالله العلي المطوع** حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد أفادت الأنباء الآتية من الكويت بنبأ وفاة والدكم الكريم معالي الشيخ عبدالله العلي المطوع (رحمه الله) فكان النبأ بمثابة صدمة مفاجئة عظيمة لايمكن التعبير عنها بالكلمات، فانا لله وإنا إليه راجعون .

كانت ندوة العلماء ذات صلة أخوية ودعوية منذ أكثر من خمسين عاما بوالدكم الكريم وخاصة عندما زار سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله مدينة الكويت لأول مرة في عام ١٩٥٥م مع وفد دعوي كان هذا العاجز ضمن ذلك الوفد، فبالغ الراحل الكريم في تكريمه ثم تكررت زيارته للكويت ورافقته كل مرة، فكان الشيخ عبد الله العلي المطوع رحمه الله ينتهز الفرصة للترحيب به وعقد حفلة طيبة للاجتماع بأهل العلم والدعوة ولاستماع كلمة من الزائر الكريم رحمه الله وقد نشرت كلمته في إحدى المناسبات في رسالة ضمن إسمعياته، بعنوان : إسمعي يا زهرة الصحراء.

وقد توطدت هذه الصلة الدعوية بينه وبين ندوة العلماء من خلال زيارات ولقاءات تمت في أيام والدكم الكريم .

وإنني إذا أعزي سعادتكم وجميع أعضاء أسرة الفقيد، وإخوانه و أصدقائه وأبنائه في الكويت وخارجها، واعتبره عبداً مقبولاعندالله تعالى بانفاقه الضخم في سبيله والعطاء الكبير لصالح العلم والدعوة في العالم كله، أتضرع إلى الله سبحانه أن يتقبل عمله لوجهه الكريم ويغفرله زلاته، ويتغمده بواسع رحمته، ويرفع درجاته في جنات ونعيم، ويكرمكم بالصبر الجميل، ويجعله ممن أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء و الصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

أخوكم المخلص

محمدالرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء العام، لكهنؤ الهند

٢٠/٠٨/١٤٢٧هـ

٠٤/٠٩/٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

برقيـــة تعزيـــة

إلى سعادة الشيخ **عبد الرحمن بن عبد الله العلي المطوع** حفظه الله وحماه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و بعد ففور وصول النبأ الحزين بوفاة الداعيـة الاسلامى الكبير معالي الشيخ عبدالله العلي المطوع (رحمه الله) اتصلت بأحدأعضاء أسرته في الكويت مستو ثقا الخبر، فصدق الخبر وقال: إن وفاته كانت على سبيل المفاجأة من غير آثار صحية تشير إلى اقتراب موعد لمغادرته إلى الآخرة، وقد أخبرنى بأنه بعد صلاة الفجر لقيه وفد من بعض البلدان وتحدث إليه عن الغرض المطلوب فوافق عليه وكتب بيده فى شأنه ماشاء الله أن يكتب، وقد اشتغل بعمله اليومي، وكان ينتظر موعد صلاة الظهر إذ فاجأته الدعوة للمغادرة إلى ربه الكريم، في اليوم العاشر من شهر شعبان عام ١٤٢٧ هـ الموافق ٣/من شهر سبتمبر ٢٠٠٦م فانا لله وإنا إليه راجعون.

كان الراحل الكريم من أكبر المتطوعين لخدمة الاسلام والدعوة إلى الله، ومن المجاهدين فى سبيل الله بالنفس والمال مصداقا لقوله تعالىٰ: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون.

كان الفقيد الكريم موفقاً من الله تعالىٰ لأعمال الخير والبر والاحسان، وصامدا على جبهة الدعوة الاسلامية على مستوى العالم كله، وقد رزقه الله تعالىٰ نعمة الجراءة في الحق والصراحة في القول، فلما وقعت عليه ضغوط من بعض الجهات القوية أن لاينفق ماله بدون إذن سابق منها في مجال المشروعات الخيرية، أبى إلا أن يفعل في ماله ما يشاء من غير أن يطلب لذلك أي إذن من أي جهة، ولم يقبل أي قرار في هذا الشأن، من شخص أوحاكم أوحكومة، فبارك الله تعالىٰ في جميع أعماله وجعله منبع الخير كله.

ونحن إذ نعزيكم و ندعو الله سبحانه وتعالىٰ أن ينيب عنه من أنجاله، وأعضاء أسرته من يسير على آثاره ويبقى على طريقته فيخدمة الاسلام والدعوة إلى الله تعالىٰ، من غير خوف لومة لائم، نبتهل إلى الله تعالىٰ أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته، ويكرم نزله في جنة الفردوس، ويرفع درجاته في الآخرة، ويغفرله زلاته، ويلهم أهله وذويه و أعضاء أسرته جميعاً الصبر والسلوان، والله على كل شيئي قدير.

سنفرد عنه مقالا مستقلا في العدد القادم- باذن الله تعالىٰ- ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

أخوكم الحزين

١٠/٠٨/١٤٢٧هـ
٠٤/٠٩/٢٠٠٦م

سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامي
ندوة العلماء لكهنؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

المجلد الثاني والخمسون

○ رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد الثاني
شوال ١٤٢٧هـ
نوفمبر ٢٠٠٦م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة و النشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٣٥
الفاكس : ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١

محتويات العدد

الافتتاحية :

لا عدوان على الدين ، بل على الظالمين ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي

وقفة مع الأحداث الجارية في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام — الدكتور عدنان علي رضا النحوي — ٩

تعدد الجزّارُون و الذبحُ واحد !! — سعادة الدكتور الأستاذ غريب جمعة — ١٦

مصطلحات يهودية .. احذروها — د/محمد بن سعد الشويعر — ٢٥

الدعـــوة الإسلامية :

الأسماء الحسنى تحديدها ومصادرها — د/سيد رضوان علي الندوي — ٣٠

الفقه الإسلامي

زكاة الأراضي والمنتجات الزراعية — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٤١

دراسات أدبية :

المعلقات السبع بين الحقيقة والأسطورة — أ.د/محمد السيد علي البلاسي — ٥٠

القصة عند الطنطاوي من منظور الأدب الإسلامي — الأستاذ سيد محامد الهاشمي — ٥٥

دراسات و أبحـــاث :

مساهمة الشيخ محمد طاهر الفتني في نشر الحديث النبوي ... — أ.د/محمد اجتباء الندوي — ٦٨

من التاريخ الإسلامي :

الإمام أبو القاسم القشيري حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات — د/محمد عارف الدين الفاروقي — ٧٧

من التـــراث :

علم الطب والجراحة — د/أحمد عبد الرحيم السايح — ٨٥

صـــور و أوضـــاع :

هل يسيطر الاستعمار على العالم مرة أخرى — الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٣

إصدارات جديـــدة

محمد إقبال : وموقفه من الحضارة الغربية — قلم التحرير — ٩٧

"نقوش معارف" — " " " " — ٩٧

"الهدية والرشوة" في ضوء الكتاب والسنة — " " " " — ٩٨

"مسائل العمامة ومسائلها" — " " " " — ٩٩

إلى رحمة الله تعالى

"الأستاذ عثمان غني ، الصحافي الكبير ، في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

الافتتاحية :

لا عدوان على الدين ، بل على الظالمين !

لم يكن الدين في يوم من الأيام موضع خيفة لدى أيّ طبقة من المجتمعات البشرية ، بل بالعكس من ذلك كان ملجأً للخائفين والمتضررين ، وكان منقذاً من الآلام والظروف المفاجئة التي تواجه الإنسان وتعكر صفو الحياة وتغير وجهة الخير إلى الشر ، هو الذي يخيم الهدوء والطمأنينة على الحياة ، ويوفر للإنسان راحة القلب والضمير ، فالديانات التي سبقت دين الإسلام ، لم تدفع أصحابها إلى خسران وأوضاع مضادة ولم يكلفهم فوق الطاقة ، إلا ما اصطنعه بعض أتباع الديانات من آلام وأسقام وتحملوها بوحي من النفس ، كما يقص علينا التاريخ من حكايات الرهبنة والرهبان التي تقشعر منها الجلود ، فقد كانت بدعة ابتدعها الرهبان ، وفرضوها على أنفسهم دون أن تكون بها علاقة بالدين والأخلاق ، استنكرها كتاب الله تعالى قائلاً : ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوْهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ** ﴾ .

ذلك هو التطرف الشائن الذي شوه وجه الدين وجعله موضع كراهية ونفور لدى الطبائع الإنسانية ، وقد اتخذوه الغواة والمجرمون مبرراً للسخرية من الدين وذريعة للهجوم على أتباعه ، وقد حدث ذلك مع كل ديانة وحملة لوائها الذين لم يتمكنوا من

تمثيل تعاليمها في حياتهم وشئون الفرد والجماعة بصورة عملية وأشكال واقعية ، هكذا وقع مع الديانة المسيحية التي عبث بها الناس وتناولوها بالتحريف والتزوير حتى فقدت روحها وأصبحت فريسة الإبطال والانتحال والتثليث في أسرع وقت ، ولم يعد لعقيدة التوحيد فيها أيّ مجال ، ولما صارت اليهودية بغير ما أنزل الله بها ، وجُعلت لعبة بأيدي أناس لم تكن حياتهم تمت إلى تعاليمها بأيّ صلة ، ثارت البغضاء والشحناء بين هاتين الديانتين ، وامتلأ الجو بتبادل الاتهامات والشتائم بين أصحابهما الذين ابتعدوا عن طريق الحق والصواب ، ولقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن نفسيتهم المضادة ؛ فقال : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ : لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْئٍ * وَّ قَالَتِ النَّصَارَى : لَيْسَتِ الْيَهُوْدُ عَلَى شَيْئٍ** ﴾

ومع هذه الطبائع المعوجة لم يكن بإمكان أن تستقيم عمارة العالم ، ويدرك الإنسان ذلك الهدف العظيم الغالي الذي خلق لأجله ، وهو عمارة الأرض بالعدل والنصح والحب والأخوة والإيثار والألفة والثقة والأمن والسلام ، ثم التسامح والعفو والصفح ، وجميع المحاسن والقيم والفضائل والآداب ، وعمارة القلب بالعواطف الطيبة والعقيدة والإيمان ، ومكارم الأخلاق ودوافع الخير والعبادة والسلوك ، أضف إلى ذلك وضع الطاقات فيما يعود بخيري الدنيا والآخرة ، وتتكفل ببناء الحياة البشرية على أسس متينة من الجمع المتزن من حسنتي الدين والدنيا ، فيعطى للجسم حقه مما يتطلبه من مدد مادي ، ويعطي للروح نصيبها من العمل الصالح والارتباط القوي الخالص بالله تبارك وتعالى ، ذاك

لأنه هو الطريق الوحيد للوصول إلى الغاية المتوخاة من حياة الإنسان ، وإيجاد التوازن في جميع شئونها على أساس ما علمه الله تعالى من دعاء يطلب فيه الناسُ من حسنة الدنيا وحسنة الآخرة بكل عدل ومن غير نقص أو زيادة في الحسنتين ، إنه أودع في هذه الدنيا من الحسنات ما يضمن بلوغ المرء إلى حسنات الآخرة ، فالدنيا هي في الواقع بوابة الآخرة ، ولو لا الآخرة لم تتحسن حياة الدنيا ، ولذلك فإن المنهج الإسلامي للحياة يقوم على تصور الآخرة ، وهي الحياة الثانية الحقيقية التي تتطلب إعدادات هائلة من العمل والإيمان والزاد الزكي الطاهر من مزرعة الدنيا التي ليست إلا لبناء المستقبل المشرق الذي يحتاج إليه الإنسان بعد مغادرته الدنيا إلى دار الآخرة .

من هنا يفترق الطريق بين الإنسان والإنسان ، ﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ : رَبَّنَا آتِنَا فِيْ الدُّنْيَا * وَ مَا لَهُ فِيْ الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقَ** ﴾ و يقول : ﴿ **إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوْتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ** ﴾ ولعل ذلك هو الأساس لما يواجهه المسلم اليوم من ظروف قاسية تُفرض عليه من خلال الأنظمة المادية التي لا مكان في معجمها للحياة الآخرة ، ولذلك فإنه لا يجوز لأي شخص أن يقوم بدعوة الناس إلى دين الإسلام ، فإن الدعوة إلى الإسلام تمهد الطريق إلى الإرهاب - فيما يزعم الماديون - وكل ما يتوافر اليوم من أوضاع شاذة ومخاصمات سياسية وغزو واحتلال في العالم الحديث ، إن هو إلا نتيجة الدعوة إلى الإسلام و وجود المسلمين ؛ فلابد من اقتلاع جذور هذا الفساد ، وتصفية الجو من كل ما تشم فيه رائحة إرهاب وعنف ومؤامرة - فيما يظنون - .

ومعلوم أن الإسلام ليس دين خوف ورهبة إنما هو دين السلم والسلام، والأمن والحب والوئام، إنه يحترم كل الناس ويهيئ لهم حياة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، وقد قضى على حياة الشقاء والقلق والفساد، بطريق هذا الدين في العالم كله، ولا سيما في العالم الذي كان عامراً بالشئون الحضارية وفلسفات المدنية، وكان يضاهي حضارة اليونان في آداب الحياة وفنون العيش، حيث كان الشعور بالمسئولية الحضارية ضئيلاً، وكانت العدالة الاجتماعية مفقودة بين المجتمعات البشرية، ولو لا أفاض الإسلام على هذا العالم الحضاري المادي بحضارة إنسانية غنية لكان قد أوشك على الفناء، ولم يكن له ما يذكر في تاريخ الإنسان.

فكيف يمكن أن يحاربَ دين يمن على العالم البشري كله بمنهج طبيعي يتفق وطبيعة الإنسان، وينسجم مع واقع الفطرة في كل شأن، كما قد شهد بذلك كتاب الله تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا * لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ * ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ * وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ ليس من المعقول في شئ أن تكون هناك معسكرات عالمية ذات تصرفات واسعة لا تدخر وسعاً في اتهام الدين الإسلامي بأنه دين زائف، يحث أتباعه على تدمير الكيان البشري وتحطيم المنظومة الحضارية والسياسية السائدة في العالم اليوم، ولترسيخ جذور الاتهام ومصداقيته تعتمد على مخططات إجرامية، وتشرف على تنفيذها ثم إدارة عقارب الشك إلى المسلمين أو "القاعدة" التي لا تزال حقيقتها غامضة على العالم، ولا يعرفها إلا من أذاع صيتها، وافترض وجودها.

إذا كان الإسلام بطبيعته وبرامجه البناءة لا يتوخى للعالم البشري إلا خيراً وأمناً ودعةً، وإذا كان المسلمون لا يريدون للمجتمعات الإنسانية إلا سلاماً وهدوءاً، فكيف تستطيع الأنظمة والحضارات المادية أن تحارب نظاماً لا يوفر للإنسان إلا الحرية والسلام والأمن والطمأنينة، أظن أن الحرب غير الطبيعية والنفسية الانتقامية لا تكاد تعيش الخداع والزور والعدوان إلا مدة يسيرة جداً، وقد تبين ذلك في الحروب العدوانية التي خاضتها إسرائيل، وخانها التوفيق والثبات، وجعلت جنودها تهرب من ميدان القتال أو تختفي في المخابئ والسراديب فراراً من الموت، فقد بدأ الصراع العسكري في داخل الكيان الصهيوني لأول مرة في تاريخه، وبدأت ملامح الرعب الصهيوني داخل أقوى الأجهزة الأمنية الصهيونية، كما نشرت مجلة "المجتمع" الكويتية تقريراً لرئيس جهاز الاستخبارات الداخلية "الشاياك يوبال ديسكن" حول استعراضه للوضع الأمني أمام مجلس الوزراء، يوم الأحد ٢٠٠٦/٧/٢٢م؛ تقول المجلة:

"أكد فيه قائلاً: إن ما يجري اليوم في لبنان هو ما ينتظرنا في غزة غداً ... إن قطاع غزة يشهد واقعاً جديداً صعباً، إذا لم يتم إجراء تغيير جذري، سنجد أنفسنا خلال سنتين أو ثلاثة في وضع مماثل للوضع أمام حزب الله في لبنان، هذا يعني أننا أمام مخابئ وحفر وبنية تحتية عسكرية و وسائل قتال خطيرة".

وأشار: "إذا لم نقم بإجراء تغيير جذري، كإغلاق كل نطاق التهريب بما في ذلك محور فيلادلفيا، ومنع تطوير قدرة حماس، والتعامل معها من خلال قيادة فلسطينية بديلة، سيكون

الوضع في غزة شبيهاً للوضع في لبنان" ... في إشارة للنقد الذي وجهته القيادة السياسية الصهيونية إلى جهاز الأمن ، الأسبوع الماضي ، بأنه لم يحذر في الوقت اللازم ولم يعالج مشكلة النظام الصاروخي لحزب الله .

وأخيراً اسمحوا لي بأن أصارح جميع القيادات العسكرية والسياسية في العالم كله ، بأن الدين ليس عائقاً عن أي تقدم أو تطور علمي أو صناعي ، وليس فيه ما يمنع الناس عن المسابقة في مجالات العلوم والتقنية ، بل الواقع الذي لامراء فيه : أن للدين دوراً بنّاءً كبيراً في إيجاد النماذج الحية لتطوير الحياة ، وتوفير القيادة الصالحة للإنسان ، والوصاية على البشرية ، وقد أودع الله سبحانه في دينه الأخير طاقات هائلة لتقديم حلول لجميع المشكلات التي يعاني منها العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وهو في الواقع علاج ناجع لجميع ما يعيشه من أزمات وقضايا يعجز العقل البشري عن التفكير فيها ، وتقديم حل لها وإنقاذه من المآسي والمخاوف ، ومن الهموم والأحزان ، فلا عدوان إلا على الظالمين .

"إن زعماء الحكومات في الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهم يعلمون تماماً أن الصهاينة يتمنون إبادتهم وإبادة دينهم وبرغم هذا يقفون إلى جانبهم ، ويحاربون معهم ضد المسلمين في البلاد العربية الذين هبوا للدفاع عن حقوقهم ومقدساتهم ، ورفضوا أن يجعلوا من بلادهم وكراً للاستعمار والصهيونية" .

والله ولي التوفيق والسدّاد .

سعيد الاعظمي

وقفة مع الأحداث الجارية في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي .
www.alnahwi.com info@alnahwi.com

مع هذه الأحداث الجسام المروّعة في أرض فلسطين وغيرها من أرض الإسلام ، يقف المؤمن ليتأمل ويتدبّر ، ويبحث عن العبرة والعظة ، والمنفذ والمخرج ، من هذه الظلمة والحيرة التي طال مداها ، لقد قدّمت الأمة دماءً كثيرةً ومالاً كثيراً وبطولات رائعة ، فلماذا الهزائم ؟!

وحين نحييّ المؤمنين الصادقين المجاهدين ، وحين ندعو لكل من قُتل في سبيل الله أن يتقبله الله شهيداً عنده ، فإننا في الوقت نفسه نبحث في أعماق واقعنا وأعماق أنفسنا عن أسباب الوهن ومظاهر الخلل ، ليكون هذا هو أول الطريق إلى النجاة ، وليكون العلاج هو الخطوة الممتدة على الدرب ، خطوة لا تُعطّل خطوة أخرى ، ولكن تدعمها وتقوّمها ، فلا يُعقَل أن ندخل المعركة ونحن نحمل الوهن واضطراب الصورة وفقدان النهج واختلاف الرؤية والهدف .

لا يختلف اثنان في أن المسلمين اليوم يمرّون بهزائم متتالية ، وفواجع صاعقة ومجازر تتدفّق فيها الدماء ، وتتطاير فيها الأشلاء ! ويصوّر الإعلام العالميّ الأحداث على النحو الذي يريده ويناسب أطماعه وعدوانه وجرائمه ، ولكننا نحن نردّ ذلك إلى منهاج الله رداً أميناً لنخرج بنتائج حقيقية ، بعبر ومواعظ تشق لنا الطريق بإذن الله.

إن الأحداث الجارية في هذه اللحظات على أرض فلسطين مروّعة مفجعة ، يزحف "أولمرت" ، ومِنْ ورائه اليهود وأحلافهم ،

بدباباته ومروحياته وطائراته ، وجنوده المدجّجين ، على مدن الضفّة الغربية وقطاع غزّة تدميراً وتقتيلاً ومحاصرةً ، واعتقالاً ، ومنعاً لوسائل إسعاف الجرحى ، ومنعاً للكساء والطعام والدواء ، والعالم كله يتطلّع ، ومليار مسلم في الأرض مشلولون ، وأمريكا تظل تعطي "أولمرت" وحكومته الضوء الأخضر ليمضي في جرائمه ، ويخرج تصريح من هنا وتصريح من هناك تؤيد ما تقوم به الحكومة اليهودية ، ومندوب يحضر ومندوب يعود للتفاوض حول الأسير اليهودي ، لا لشئ آخر ، وكأن العالم يعطي الضوء الأخضر لليهود ليمضوا في جرائمهم ، حتى يستأصلوا ما يسمونه : "الإرهاب" ، وهم الإرهاب والعدوان والظلم والإجرام !

ففلسطين الآن كلها مباحة لليهود : أرضاً وبشراً وأعراضاً وأموالاً ، كلها مباحة لهم ، فمنها ما استباحوه استباحة مروّعة ، ومنه ما هو معرّض لذلك اليوم أو غداً إلا أن يشاء الله .

والأحداث لا تقتصر على فلسطين وحدها ، وإنما هي ممتدة بمجازرها وفواجعها إلى أرض الإسلام كلها ، عدواناً وإجراماً .

لذا لا عجب بمواقف أمريكا ، في المدة الأخيرة من قضية فلسطين ، و وقوفها مع "أولمرت" وأن من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها ! فموقف أمريكا موقف واضح صريح منذ عشرات السنين ، يتبناه جميع رؤساء الولايات المتحدة منذ أن بدأ زحف اليهود على فلسطين .

لقد أعلن جميع وزراء خارجية الدول الغربية بعد إعلان قيام دولة اليهود في فلسطين تصريحاً أجمعوا عليه : **"إن إسرائيل وجدتْ لتبقى"** ! وتوالت التصريحات منذ سنة ١٩٤٨م على الأقل تردد وتؤكد هذه المعاني .

ولماذا أقرّ العالم انتداب بريطانيا على فلسطين ؟! لقد كان الانتداب وإقراره إقراراً وتنفيذاً دولياً لوعد بلفور ، إقراراً برعاية كيان اليهود في فلسطين وتوفير الحماية المتواصلة له ، ولقد كان سلوك الانتداب البريطاني في فلسطين مدة الانتداب واضحاً جلياً في دعمه القوي لليهود وخنقه لمحاولات الفلسطينيين في مقاومة ذلك ، واستمرّ الانتداب بسياسته الظالمة دون أن يجد أي يقظة حقيقية من العالم العربي أو الإسلامي كله ، والنذر في الآفاق مدويّة .

عندما قبل الفلسطينيون أن يتناولوا القضية بأنفسهم وحدهم ماذا كان لديهم من الإمكانات البشرية والعسكرية ، والخطة التي تقود إلى الهدف ، أمام دولة اليهود التي تمثل ترسانة أسلحة أرهبت كثيراً ، وأمام دعم دولي كامل لها ، وأمام صف واحد متراص معها ، والمسلمون ممزّقون في هوان وضعف ، والفلسطينيون أنفسهم فئات وشعارات تتصارع ، ومضت السنون وفصائل الفلسطينيين باتجاهاتها الفكرية المتناقضة بين صراع داخلي وتلاق آني ، وشعارات تنذر بالويل والثبور لليهود ، ولم ينهض أحد من الأمة كلها ليسأل : ما هو الهدف الآني وما هو الدرب والخطة التي أعدّتْ لتوصلَ إلى الهدف ؟! ولم ينهض أحد من الأمة لينصح ويعين على تحديد الهدف والدرب الذي يوصل إلى الهدف من خلال ما يُعلن من عقائد وفكر ، ولم ينهض أحد لينصح المسيرة لتتجنّب الخلل والانحراف والزلل .

وضَجّت الشعارات ! ومن خلال الضجيج تقدّم اليهود شيئاً فشيئاً مع كلّ ضجة وصيحة ؟!

وأتساءل ما هي الدولة التي يريدون قيامها ويقاتلون من أجلها إذا كان اليهود قادرين على اعتقال وزراء الحكومة وأعضاء البرلمان و وضعهم في معتقلاته بل ومحاكمتهم كذلك ، وإذا كان اليهود قادرين

على دخول أي قطعة من الأرض ليقتلوا ويدمروا ويحرقوا الأرض ويهلكوا الحرث والنسل في أيّ وقت شاؤوا ، ولا تجد في العالم كله أحداً يردعهم ؟!! ما هي هذه الدولة وكيف يُحْلَم بقيامها ، وما جدواها وما قُوّتها ؟؟؟

هذه هي العراق أصبحت بحراً من الدماء والأشلاء ، وانقطاع الماء والكهرباء والتدمير الممتد الشامل ، وانتهاك للأعراض ليل نهار ، وما يجري الآن في العراق خطوة خطوة وما تفعله أمريكا وحلفاؤها ، هو نفسه ما يفعله اليهود في فلسطين ، وهذه هي أفغانستان ! والزحف ممتد والدماء تتفجّر ، وصمت المسلمين مذهل مرعب مخيف !

إذا تتبعنا تاريخ قضية فلسطين تبرز أمامنا حقائق هامة ، أولها أن الغرب الذي تبنّى دعم اليهود وبناء دولة لهم في فلسطين كان ينطلق من نهج وخطة يمضون بها على مراحل ، تربط كلّ خطوة بسابقتها وتمهد للخطوة اللاحقة ، من خلال تصورات مادية استفادت من سنن الله في الحياة دون أن يؤمنوا بأنها سنن لله ، فارتبطت هذه القضية بما سبقها من أحداث ، كانهيار الخلافة وتمزق العمل الإسلامي والعالم الإسلامي ، وساهمت من ناحية أخرى في المكائد التي تلت ونُفِّذت في العالم العربي والإسلامي .

إذن نستطيع أن نقول ؛ إن هناك جبهتين : جبهة الغرب المتضامن والمتّحد حول ما أقرّوه من هدف كبير لهم لا يختلفون عليه ، وهي جبهة وضعَت خُطّتها ومراحلها للهدف الكبير الذي تسعى إليه منذ زمن بعيد ، ومضت في تنفيذه ، وجبهة أخرى مفكّكة ممزّقةً متضاربة المصالح ، وهي تمضي من خلال تفككها دون نهج جامع ولا خطة توصل إلى الأهداف المعلنة ، والجبهة الأولى وفّرت الإمكانات المادية لها وجمعت أسباب القوة ، و وضعت ثروتها في بناء هذه القوة

وَسَطت على ثروات غيرها ، والجبهة الثانية غرقت في تفكّكها بزخرف الحياة الدنيا ولهوها ولعبها وبعثرت قواها وثرواتها ، فإذا تلاقت الفئتان فما هي النتيجة ؟!

لذلك نرى أنه إذا التقت فئتان : **فئة لها نهجها وخطتها التي تجتمع عليها وتعمل بها ، وفئة لا خطة لها توصلها إلى ما تعلن من أهداف ، فإن الفئة الأولى تكون قادرة على تحويل جهود الفئة الثانية لصالحها .**

خلال القرنين الأخيرين بذل العالم الإسلامي كثيراً من الدم والمال ، فلماذا لَمْ يجنوا إلا الهزائم والخسران ؟!

إن ما يجري اليوم لا يكون مفاجئاً إلا للغافلين النائمين ، يوقظهم هول الصواعق والفواجع والطوارق ، إن ما يجري اليوم هو نتيجة حتمية لمرحلة سابقة ، والمرحلة السابقة نتيجة حتمية لما قبلها ، ذلك لأن سنن الله ثابتة ماضية في الكون والحياة ، على حكمة لله بالغة وقدر غالب .

أيها المسلمون ! إذا أردتم النجاة والنصر حقاً ، فإنّ الله قد فتح بابهما ومدّ الصراط إليهما ، ويبقى عليكم أن تَلجوا الباب وتمضوا على الصراط المستقيم ، ولا يلج الباب إلا من أوفى بالعهد والأمانة ، وأول ذلك التوبة الصادقة :

﴿ ... وَتُوبُوْا إِلَى اللهِ جَمِيْعاً * أَيُّهَا الْمُؤْمِنُوْنَ ! لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾ (النور/٣١) .

وجاهدوا أنفسكم :

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ * فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ * إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ ﴾ (العنكبوت/٦) .

وجاهدوا أنفسكم حتى تكونوا أمة واحدة وصفاً واحداً :

"المجاهد من جاهد نفسه في الله" (صحيح الجامع الصغير وزيادته/٦٦٧٩) .

وخذوا زادكم ، وأعدّوا عدّتكم ، واجمعوا صفّكم ، وضعوا نهجكم وخطتكم ، وجاهدوا أعداء الله :

﴿ وَأَعِدُّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ * وَّمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ * تُرْهِبُوْنَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ * وَآخَرِيْنَ مِنْ دُوْنِهِمْ * لاَ تَعْلَمُوْنَهُمُ * اللهُ يَعْلَمُهُمْ * وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ * يُوَفَّ إِلَيْكُمْ * وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُوْنَ ﴾ (الأنفال/٦٠) .

وانزلوا الميدان صفاً واحداً وجاهدوا في سبيل الله على نهج واضح محدّد وأهداف واضحة محدّدة على صراط مستقيم ، أمة ترفع الشعار لا ليكون وحده ، وإنما ترفع الشعار وتمضي على الخطة والنهج ، فمن شروط الجهاد في سبيل الله أن يكون الدرب جلياً والأهداف ربانية محددة ، والدرب يوصل إلى الهدف ، حتى لا نكتشف بعد حين أن الهدف في ناحية والمسيرة في ناحية ، ولات ساعة مندم ، فالجهاد في سبيل الله نهد وخطة ، وإعداد وبناء ، وبذل بالمال والنفس .

والجهاد في سبيل الله فرض على الأمة المسلمة منذ أن نزلت آياته من عند الله على محمد ﷺ ، جهاداً ماضياً إلى يوم القيامة ، وهو جهادٌ فرضٌ كذلك على كل مسلم مكلّف قادر ليس له عذر في دين الله أن يتخلف ، وترتيب الجهاد وتنظيم صفوفه ومراحله لا يعطّله ولا ينحرف به ، فالجهاد نهج وخطة على صراط مستقيم بيّنه الله وفصّله ، ويقظة و وعي ، وعلة وقوة ، وقبل ذلك كله عقيدة وإيمان ويقين .

فالملايين من المسلمين اليوم لم يُعَدُّوا للجهاد ولم يُدرَّبُوا عليه ، وتاهوا بين النظم الغربية الوافدة الزاحفة وبين أهواء الدنيا وشهواتها ، وكان الصف الأول من المجاهدين زمن النبوة الخاتمة يتألف

من النبي الكريم ﷺ وكبار العلماء والفقهاء من الصحابة رضي الله عنهم ، وكان الفتيان يتسابقون إلى الجهاد في سبيل الله في مدرسة النبوة الخاتمة ، لا يتخلف عن الجهاد أحد ، وإننا لنتساءل لماذا لم تعد الأمة عدتها خلال هذه السنين الطويلة حتى فلجأتها الأحداث الدامية والهزائم المتوالية والهوان الكبير ؟! ولماذا لا تنطلق في هذه المرحلة لتعدّ العدّة الصادقة كما أمرنا الله ؟!

وكلمة الجهاد في سبيل الله تجمع في آن واحد بين بذل المال والنفس في جميع آيات الكتاب الكريم لا يُفرَّقُ بينهما ، فمعنى في سبيل الله أن يكون الهدف محدّداً ، والطريق الموصل إليه محدّداً ، وأن تكون الأهداف كلها ترتبط بالهدف الرباني الأوسع : **"أن تكون كلمة الله هي العليا"** ، حتى لا نكتشف بعد حين أن الهدف كان شعاراً فحسب ، وأنه كان في ناحية والمسيرة في ناحية أخرى ، فاجمعوا صفوفكم صفاً واحداً ولا تفرّقوا ، وأعدوا كل ما تستطيعونه من القوة ، ثم انفروا خفافاً وثقالاً ، فإن نكصتم فلا تلوموا إلا أنفسكم فالخطر يتسع ويمتدّ :

﴿ انْفِرُوْا خِفَافاً وَّثِقَالاً وَّجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ * ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ * إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴾ (التوبة/٤١) .

أيها المسلمون ! لا تخافوا على الإسلام ، فقد سبقت كلمة الله في أن يُظهر الإسلام على الدين كله ، ولو كره الكافرون والمشركون والمجرمون ، ولكن خافوا على أنفسكم قبل أن يأتي عذاب من الله شديد .

﴿ هُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى * وَدِيْنِ الْحَقِّ * لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ * وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ﴾ (التوبة/٣٣)

***

تعدَّدَ الْجَزَّارُون و الذبْحُ وَاحد !!

بقلم : الدكتور غريب جمعة

تجدد الحديث في هذه الأيام عما أرتكبه الجزار الإسرائيلي المجرم إريل شارون عام ١٩٨٢م من مذابح في صبرا وشاتيلا - حينما كان وزير للدفاع - بعد ما أذاعته هيئة الإذاعة البريطانية بلندن حول تلك المذابح ، وها هو ذا يتصدر سدة الحكم في إسرائيل في غرور فاجر وفجور مغرور (وذلك قبل أن يسجنه الله في جلده) ولابد أن نتعرف أولاً على نظر شارون ومن على شاكلته من أخوان القردة والخنازير إلى بقية الشعوب من غير اليهود ، لنعرف الدوافع لارتكاب تلك المذابح.

إن هؤلآء الأشرار يخلعون على أنفسهم من صفات المديح والتعظيم ما ليس لغيرهم من الشعوب ، من هذه الصفات مثلاً : شعب الله المختار ، الشعب الأزلي ، الشعب الأبدي ، إيماناً بما جاء في توراتهم المحرفة مثل مقولة : لأنك شعب مقدس للرب إلهك قد اختارك الرب لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض (التثنيه : ٢/١٤) فهم - من وجهة نظرهم - شب الله وبالعبرية "عام الوهيم" وهي تسمية وردت في كتابهم وما داموا شعب الله فجميع الشعوب في نظرهم "جوييم" أي سفلة وأشرار بل قد توسع أحبار اليهود في استعمال هذه الكلمة فأضافوا إليها معنى القذارة الروحية والمادية والكفر .

ولم يقف احتقار اليهود للشعوب الأخرى عند هذا الحد بل تعداه إلى أوصاف أخرى ؛ مثل : "عاريل" أي الأقلف الذي لم يتم

ختانه بل بقى بدائياً على حاله تلك التي تجعله يجمع بين القذارة والكفر في آن واحد وهذا الوصف من نصيب المسيحي .

أما كلمة : "ممزير" ومعناها ابن الزنا أو ابن الحرام فهذه من نصيب المسلم لأنه في نظرهم مولود من هاجر التي تزوجها سيدنا إبراهيم ، وهي في نظرهم جارية وأجنبية فكل سلالة سيدنا إسماعيل - ولدها - ومن ينتسب إليه ديانة يعتبرهم الفكر اليهودي العنصري البغيض "ممزير" من أبناء الحرام (١) (نعوذ بالله من هذا البهتان) .

وقد دفعهم هذا الغرور والاستعلاء العنصري البغيض إلى الولوغ في دماء الشعوب الأخرى واستباحة أرضها وأعراضها تمشيا مع تعاليمهم المحرفة ؛ التي جاء فيها :

حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن إجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التي ليست من مدن هؤلآء الأمم هنا (فلسطين) ، وأما مدن هؤلآء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها (تقتلها) تحريماً كما أمر الرب إلهك (٢) .

(١) الشخصية الإسرائيلية - للدكتور حسن ظاظا ، ط/٢ ، ١٩٩٠م (دار القلم) .

(٢) جذور البلاء للقائد المسلم عبد الله التل - يرحمه الله - ، ط/٣ ، ١٩٨٥م (المكتب الإسلامي) .

📖 شهادة التاريخ :

وإذا كانت هـذه هـي التعـاليم التوارتيـة المحرفـة ، فقـد حولهـا اليهود على مر التاريخ إلى واقع أسود الصفحات أحمر الكلمات مـداده من دماء الأبرياء وكلماته هي أشلاء الأطفال والرجال والنسـاء ، وهـذه مجرد نماذج فقط للتمثيل حيث يتعذر التفصيل .

📖 أولاً - في التاريخ القديم :

جاء في الكتاب رقم/٧٨ الذي وضعه المؤرخ كاسيوس فصـل ٣٢ عـن حقبـة القـرن الثـاني للميـلاد (١١٧م) : حينئـذ عمـد اليـهود في شـواطئ طرابلـس الغـرب حاليـاً - بقيـادة أندريـا إلى ذبـح الرومـان واليونان ، وأكلوا من لحمهم ، وشـربوا دمـاءهم ، وسـلخوا جلودهـم ولبسوها ، وقطعوا أجسام كثيرين منهم نصفـين مـن الـرأس فنـازلاً ، وألقوا بالكثيرين إلى الحيوانات المفترسة ، وأرغموا الكثيرين علـى أن يقتل بعضهم بعضـاً بالسـيوف ؛ حتـى بلـغ عـدد القتلـى ٢٢٠ ألفـاً ، وكذلك فعلوا في مصر وقبرص بقيادة أرمتيون وذبحوا ٢٤٠ ألفاً !! (٣) .

دع عنـك أخـي القـارئ قسـوتهم و وحشـيتهم مـع أنبيائـهم وقتلهم لهم إذا جاءوا بما لا يتمشى مع أهوائـهم المنحرفـة وأغراضـهم الدنيئة ونفوسهم المنحطة .

ولقد سجل القرآن الكريم عليهم هذه النقيصـة بالإضافـة إلى نقائص أخرى ليس هنا مجال تفصيلها ، يقول تبارك وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوْسَى الْكِتَـابَ * وَقَفَّيْنَـا مِـنْ بَّعْـدِهِ بالرُّسُـلِ * وَآتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَـاتِ * وَأَيَّدْنَـاهُ بـرُوْحِ الْقُـدُسِ * أَفَكُلَّمَـا

(٣) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - لعبـد الله التـل ، الطبعـة الثانية ، (دار القلم) .

جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ بِّمَا لاَ تَـهْوَى أَنْفُسـكُمُ اسْـتَكْبَرْتُمْ * فَفَرِيْقـاً كَذَّبْتُـمْ * وَفَرِيْقاً تَقْتُلُوْنَ ﴾ (البقرة/٨٧) .

في هذه الآية الكريمة بين الله - تعـالى - عـادة مـن عـادات بـني إسرائيل التي لا تتخلف عنهم هي أنهم كلما جاءهم رسـول بشـئ لا تميل إليه نفوسهم الشريرة ، قابلوه بأحد أمريـن : التكذيـب المسـتلزم للتولي والعصيان أو القتل وسفك الدمـاء ، فالآيـة الكريمـة أفـادت أن هؤلآء اليهود قد بلغوا من الفساد نهايته ، ومـن تحجـر القلـب غايتـه حتى لم يعد يؤثر في نفوسهم وعظ الرسـل وهديـهم ، بـل صـار هـذا الوعظ يغريهم بزيادة الكفر والتكذيب وقتل هؤلآء المصطفين الأخيار.

وقد قتل اليهود من الأنبياء (أشعياء بن أمـوص) الـذي عـاش في منتصف القرن الثامن قبل ميـلاد المسـيح - عليه السلام - قتلـه (منسـى) ملك اليهود بأن أمر بنشره نشراً على جذع شجرة عام سـبعمائة قبـل الميلاد ، لأنه كان ينصحه بترك السـيئات ، وقتلـوا النـبي (أرميـا) رمياً بالحجارة لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات أعمالهم ، وكان ذلك في أواسط القرن السابع قبل الميلاد ، وقتلوا النبي زكريا عليه السلام لأنـه حـاول الدفاع عن ابنه يحيى قتله (هيرودوس) العبراني ملك اليهود من قبـل الرومان ، ثم قتل (هيرودوس) يحيى أيضاً لأن أبنة أخته غضبـت علـى يحيى لأنه لم يصدر الفتوى التي تهواها وهي زواجـها مـن هـيرودوس ، وقتلوا النبي (حزقيال) قتله قاض من قضاتهم لأنه نهاه عـن منكـرات فعلها ، وزعمـوا أنـهم قتلـوا عيسـى عليه السلام وافتخـروا بذلـك فوبخـهم القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوْهُ * وَمَا صَلَبُوْهُ * وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء/١٥٧) .

وحاولوا قتل النبي الكريم محمد ﷺ مـراراً ، ولكـن الله تعـالى

خيب محاولاتهم وعصمه منهم وحفظه من شرورهم (٤) .

ثانياً - في التاريخ الحديث :

لا يمكن أن نسرد المذابح التي ارتكبها الجزارون المجرمون من اليهود هنا ، فالأمر أوسع من هذا بكثير ولكنا نشير إلى نماذج منها - فقط - فيها العبرة (إن شاء الله) ، وقد حدثت على أرض فلسطين المحتلة لتعلم أخي القارئ أن السلام في نظر هؤلآء من الجزارين هو نوع من العبث وإضاعة الوقت لتحقيق حلمهم في إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، وليذهب العرب إلى الجحيم .

١- مذبحة دير ياسين :

وقعت في التاسع من أبريل عام ١٩٤٨م حيث هجم اليهود على قرية دير ياسين الواقعة في قطاعهم وجمعوا سكانها العزل من كل سلاح صفاً واحداً ، رجالاً ونساءً شيوخاً وأطفالاً ، ثم فتحوا عليهم نيران أسلحتهم فحصدوهم حصداً ، وبالغوا في تعذيبهم أثناء عملية القتل والذبح ، فبقروا بطون الحوامل وأخرجوا الأجنة وذبحوها ، وقطعوا أوصال الضحايا وشوهوا جثثهم حتى يصعب التعرف عليها ، ثم جمعوا الجثث وجردوها من ملابسها وألقوا بها في بئر القرية ، ولما جاء مندوب الصليب الأحمر الدكتور "لنير" ورأى المذبحة البشعة لم يستطع الوقوف حتى تتم عملية إحصاء الجثث فأغمى عليه وغادر المكان .

٢- مذبحة قبية :

وهي قرية شمال القدس على بعد كيلو مترين منها في المنطقة

(٤) بنو إسرائيل في القرآن والسنة - د/محمد سيد طنطاوي ، ط/١ ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٧هـ .

العربية ، وقد هاجمها اليهود بفوج من جنود المشاة في ليلة ١٤/من أكتوبر ١٩٥٣م ، ونسفوا المنازل بالديناميت ودكوها بالمدفعية الثقيلة ، وفعلوا الأفاعيل بالسكان الآمنين من قتل وذبح تقشعر منه الجلود وحينما وضع كبير المراقبين وقتها تقريراً منصفاً عن المذبحة كوفئ بإنهاء عمله في فلسطين بعد أن مارس اليهود ضغوطهم على عبيدهم في واشنطن وأجبروهم على تغيير كبير مراقبي الهدنة الشجاع ، ولم تستح جريدة "دافار" اليهودية حينئذ فأعلنت في عددها الصادر في ٦/سبتمبر ١٩٥٤م أن تغيير كبير مراقبي الهدنة كان ترضية لليهود .

٣- مذبحة كفر قاسم :

في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٥٦م أصدر اليهود أمراً بأن موعد حظر التجول يبدأ من الساعة الخامسة مساء بدلاً من السادسة كما كان متبعاً بموجب الأحكام العسكرية ، وكان صدور هذا الأمر المفاجئ في الساعة الخامسة إلا ربعاً أي قبل موعد الحظر بربع ساعة ، ولما استدعى القائد العسكري اليهودي "مختار" (عمدة) القرية لإبلاغه بهذا الأمر ؛ قال المختار : الساعة الآن الخامسة إلا ربعاً والأمر يقول ممنوع التجول من الخامسة وكل الفلاحين في الحقول الآن ؛ فكيف أصل إليهم وأبلغهم هذا الأمر ؟

أرجوك يا سعادة الضابط ، أعطني فرصة ولو نصف ساعة فرد القائد اليهودي ويدعى مشنة شادمي : هذا أمر عسكري لابد من تنفيذه ، وبدلاً من إضاعة الوقت يمكنك إخطار من بالقرية بالأمر أما الذين هم خارجها فاتركهم لنا ..

وهرول المختار إلى القرية لإبلاغ الأهالي حتى يختفوا في بيوتهم .

وأصدر اللعين (شادمي) أمراً إلى اثنين من ضباطه وأحد عشر

جندياً بالوقوف على مداخل القرية وإطلاق النار على كل عربي يحاول دخولها بعد الساعة الخامسة ، وابتداءً من الساعة الخامسة والنصف بدأ الفلاحون في العودة إلى بيوتهم وهم لا يدرون ما تخبئه الأقدار ، عندئذ فتح عليهم الضابطان والجنود نيران مدافعهم الرشاشة ، فقتلوا ٥٧ عربياً ؛ منهم ١٧ من النساء والأطفال ، وجرح ٢٥ شخصاً .

ومن العجيب أن هذه المذبحة تمت غداة العدوان الثلاثي على مصر ، ولم ينجح اليهود في التعتيم عليها ، بل علم بها المراقبون الدوليون والعالم بأسره ، وتظاهرت السلطات اليهودية المجرمة بأنها لا توافق على هذه المذبحة وأوعزت إلى صحافتها باستنكارها ، ومبالغة في الدهاء والخديعة وذراً للرماد في العيون ، شكلت محكمة لمحاكمة مرتكبي هذه المذبحة ؛ وهم :

القائد مشنة شادمي - الرائد مالينكي - الملازم أول غبريال دهان - الشاويش شالوم دفير - عشرة من الجنود .

وصدرت الأحكام ببراءة شادمي من تهمة القتل لأنه لم يشترك فيها وحكم عليه بغرامة تعادل عشرة قروش (مصرية) ! لأنه أصدر الأمر بحظر التجول دون الرجوع إلى رؤسائه ، وحكم بالسجن لمدة ١٧/عاماً على مالينكي وعلى الضابط غبريال والشاويش شالوم بالسجن لمدة ١٣/عاماً ، وعلى الجنود بالسجن مدداً تتراوح بين ١٠/إلى ١٥/سنة .

وتحولت غرف السجن إلى فندق من الدرجة الأولى يتمتع فيه القتلة بكل أنواع الترفيه وكان الطعام يأتيهم من منازلهم نهاراً ، فإذا جاء الليل انتقلوا إلى منازلهم ، حتى إن أحدهم تزوج خلال مدة سجنه.

مكافأة القتلة :

بعد أن قضى المجرمون عامين في السجن الفندقي زارهم ياور

كبير الجزارين بن جوريون ليزف إليهم بشرى العفو عنهم ، ثم أعيد القتلة إلى وحداتهم في قطاع كفر قاسم نفسه ، ورقي الرائد مالينكي إلى رتبة مقدم وتولى قيادة القطاع بدلاً من شادمي الذي رقي ، ونقل إلى قطاع آخر .

وبعد العفو عن هؤلآء القتلة ، سأل أحد الصحفيين الضابط مالينكي ؛ ما يأتي :

س- هل أنت نادم على ما فعلت ؟

ج- بالعكس ... لأن الموت لأي عربي في إسرائيل معناه الحياة لأي إسرائيلي ، والموت لأي عربي خارج إسرائيل معناه الحياة لإسرائيل كلها .

س- ماذا كان شعورك بعد الحكم عليك ؟

ج- كنت مطمئناً للمعاملة التي سأعامل بها لأن العمل الذي قمت به واجب وطني وديني .

ثم سأل الملازم غبريال دهان :

س- كم عربياً تمكنت من صيدهم في هذه المذبحة ؟

ج- ١٣/فقط ...

س- ماذا كان شعورك أثناء المجزرة ؟

ج- كنت متعطشاً للدم العربي وقد شربت حتى سكرت .

س- هل في نيتك معاودة الشرب ؟

ج- إذا سمحت الظروف .

وسأل الشاويش شالوم :

س- كم عدد ضحاياك في المجزرة ؟

ج- ١٥ لقد ضربت الرقم القياسي وكان حظي أحسن من

زملائي في اختيار المكان الذي وقفت فيه (٥) .

يقول المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي) مستنكراً هـذه المذابح في كتابه : (دراسة التاريخ) لو أن بشاعة الخطيئة قيست بدرجـة الجرم الذي يقترفه المذنب في حق ما منحه الله من قدرة على التمييز ، لكـان اليهود أقل عذراً فيما اقترفوه عام ١٩٤٨م ، ولكـن اليـهود يعلمـون بما اقترفوه .

وهكـذا تتلخـص مأساتهم الضخمـة في أن الـدرس الـــذي تعلموه بمصادماتهم مع الألمان النازيين ، لم يجعلهم يحيدون عـن أعمـال النازي الشريرة ضد اليهود ، بل دفعهم إلى مواصلة تلك الأعمـال وأن هذه الأعمال الشريرة التي ارتكبها اليـهود ضـد الفلسـطينيين العـرب اشتملت على تقتيل النساء والأطفـال والرجـال ، وأدت إلى هروبـهم من بلادهم (٦) .

والآن - أخي القارئ - هل تجد فارقاً بـين مـا اقترفـه الجـزارون اليهود بالأمس وبين ما يقترفون اليوم ؟

وما شـارون إلا واحـد مـن هـذه العصابـة المجرمـة - بـل أنـها عصابات ومنظمات داخل إسرائيل تختلف وسائلها الإجرامية وتلتقـي على هدف واحد هو الشرب من الـدم العربـي حتـى الثمالـة ، فـهل يصحو المتحدثون عن السلام من سكرتهم ويعلموا علم اليقـين أنـه سلام مذبوح .

ألا يمكـن أن نقـول - بعـد قـراءة هـذه النمـاذج مـن المذابـح اليهودية :

تعدد الجزارون والذبح واحد !!

(٥) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - لعبد الله التل ، ط/٢ ، ٠دار القلم) .

(٦) دولة الإرهاب - علي محمد علي .

مصطلحات يهودية .. احذروها

(١)

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

هذا عنوان كتاب يقع في ٧٥ صفحة ، ألّفـه عيسـى القدومـي ، وصدر عن مركز بيت المقدس ، نابلس للدراسات التوثيقية .. جـاء في مقدمة الناشر وهو المركز ، هذا القول : في هذه الرسالة حصـر لطائفـة هـامّة ، مـن تلـك المصطلحـات الدخيلـة ، وأورد المؤلـف منـها ٣٠ مصطلحاً ، التي سـعى اليـهود في نشـرها عالمياً ، ليبـدو الاحتـلال اليـهوديّ لفلسـطين ، ومـا نتـج عنـه ، أمـراً طبيعيـاً ، وذكـر البديـل والصواب لها ، وبيّن المغزى اليهوديّ في نشرها وعولمتها ، كمـا حـوت العديد من أسرار إشاعة تلك المسميات والمصطلحـات ، الـتي تـهدف إلى زعزعة ثوابت الأمة الإسلامية .

أما المؤلف فقد ذكر في مقدمته التي بلغـت ٣/ صفحـات : بـأن الشعب الفلسـطيني ، و معـه المسـلمون و العـرب ، يعيشـون ظـاهرة خطيرة ، متمثّلة باستبدال العديد من المصطلحات ، خلال الصراع مـع اليهود ، وتلك ثمرة الحرب الإعلامية اليهودية ، حيث انتشرت العديـد من المراكز والمؤسسات اليهودية ، والصهيونية المتخصصة ، بنشر تلك المصطلحات ، والتي لا تـألوا جـهداً في نشـر وتعميـم المصطلحـات ، اليهودية من خلال العديد من وسائلها وبرامجها وإعلامها ، الذي يعـدّ من أكثر أنواع الإعلام دهـاءً ، ومكـراً وخبثـاً ، فسـوّقت المصطلحـات التوراتية ، والألفاظ اليهوديـة - المكذوبـة - ، ذات المعـاني والمضـامين الدينية والسياسية ، التي يـراد لهـا أن تسـود ثقافـة العـالم ، لتقبـل ولا

ترفض ، وتصدق ولا تكذّب (ص/٧) ..

وأردف يقول : ولهذا تنبه المراقبون الدوليون لعملية تشويه الحقائق ، فقال "كل فون هورن" في كتابه : (العنصرية اليهودية) (٥٨٦٣) : لقد أدهشتنا براعة الكذب ، التي زيّفت الصورة الصحيحة ، منذ اجتمعت وسائل الإعلام الماهرة ، ولم يسبق لي في حياتي ، أن اعتقدت بأنّ في الوسع تحريف الحقيقة ، بمثل هذه السخرية والبراعة (ص/٩) .

يقع هذا الكتاب في طبعته الثانية عام ١٤٢٣هـ ، في ٧٥ صفحة مع المقدمة والخاتمة والفهارس من القطع المتوسط ، علماً بأنّ طبعته الأولى نفدت في نفس العام ١٤٢٣هـ ، مما يدل على رواجه ، وسرعة نفاده ، وهو الإصدار الرابع من سلسلة هذا المركز في دراسته التوثيقية ، كما يحمل في صفحة الغلاف الأخيرة عبارة : إهداء لجنة العالم العربي ، جمعية إحياء التراث بالكويت ، فيورد مع كل مصطلح بعنوان بارز ، المصطلح الصواب ، ثم يكتب تحته المصطلح اليهودي ، ثم يشرح الفرق بين الاصطلاحين ، وهدف اليهود من مصطلحهم ، في صفحة ونصف في الأعمّ الأغلب ، وقد ينقص أو يزيد ، بحسب الحاجة للشرح والتوضيح .. ولم يُرقّم هذه المصطلحات ، ولعل ذلك عائد إلى قلّة المصطلحات ؛ وبروزها بعناوينها ، في أوائل الصفحات .

كما حرص الناشر على الإكثار من النجمة السداسية باعتبارها رمز اليهود ، ويسمونها نجمة داؤد .. في أعلا وأسفل كل صفحة ، حتى يكون هذا الشعار حاضراً في ذهن القارئ ، مع قراءة الكتاب ، وكبّر وجسّم في الصفحة الأولى للغلاف ، بين قبتي : مسجد الصخرة ، والمسجد الأقصى بالقدس .. لتحريك المسلمين بذلك .

جاء المصطلح الأول كما يلي : المصطلح الصواب : المشرق

الإسلامي ، المصطلح اليهودي : الشرق الأوسط ، وقال : جاء هذا المصطلح كمقدمة ضرورية للتعايش مع اليهود ، ولإفساح مكان للكيان اليهودي في المنطقة العربية الإسلامية ، وذلك للإقرار والاعتراف في أن يكون اليهود عضواً في جسم الدول العربية ، والأمة الإسلامية ، مما يعطى اليهود صفة الجوار والوحدة ، والصواب كما ذكرنا : كما سماه أهل التاريخ الإسلامي ، أو نسميه العالم العربي أو المنطقة العربية الإسلامية (ص/١٠-١١) .

وفي المصطلح الثاني : الصواب : الكيان اليهودي ، والمصطلح اليهودي : دولة إسرائيل ، ويرى أن إطلاق مصطلح "دولة إسرائيل" ، على الكيان الغاصب : اعتراف بدولتهم وسيادتهم على أرض فلسطين ، وحقهم في الوجود ، وهذا يحقق حلم اليهود في إطلاق "دولة إسرائيل" ، على أرض فلسطين المباركة ، ذلك أن الكيان اليهودي ، منذ نشأته وحتى يزول ، وضع غير شرعي ، بأيّ خطوات اتّخذت لإيجاده ، أو لإثباته ، أو لإضفاء الشرعية عليه ، وينبّه على الخطأ الشايع في إطلاق اسم إسرائيل على الكيان اليهودي ، لأن نبي الله بريئ منهم ديناً ونسباً (ص/١٢-١٣) .

وفي المصطلح الثالث : الصواب : الاستسلام بدل التطبيع الذي أطلقه اليهود ، والتطبيع ما هو إلا مصطلح واستراتيجية لتذويب العداء مع اليهود واغتصابهم فلسطين ، وهذه المصطلحات يحاولون التأثير بها علينا ، وعلى أدمغتنا بجعلها أمراً واقعاً ، حتى نسلّم بالكيان اليهودي ، كحقيقة قائمة ، والاستسلام لإرادة العدوّ ومخططاته (ص/١٤-١٥) .

وفي المصطلح الرابع : يرى الصواب الحقوق الفلسطينية ، بدل المطالب الفلسطينية ، حيث يرى بذلك أن قضية المستوطنات حقاً

يهودياً، وأصبحت عودة الفلسطينيين إلى أرضهم و وطنهم مطلباً فلسطينياً، وأصبحت القدس كعاصمة أبدية حقاً يهودياً، وحقنا في القدس مطلباً فيه نظر، ومثل هذا عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم مطلباً، بينما هو حق لا تنازل فيه، وهكذا بمصطلحهم أصبحت حقوق الفلسطينيين ما هي إلا مطالب يسهل سلبها وعدم الاستجابة لها (ص/١٦).

وفي المصطلح الخامس: يرى الصواب: فلسطينيو مناطق آل/٤٨، بدل ما يراه اليهود باسم: عرب إسرائيل، فقد أغفل العدوّ الغاصب ذكر عقيدة وهويّة هذا الجزء من الشعب الفلسطيني، بقصد تأكيد أكذوبته الكبرى، "أرض بلا شعب"، والتي توصى: بأن فلسطين بقيت خالية بعد طرد اليهود منها على يد الرومان، طامساً تاريخ الإسلام، وتاريخ العرب الأزكى في فلسطين (ص/١٧-١٨).

وفي المصطلح السادس: يرى أن الصواب أرض فلسطين، بدل ما أطلقه اليهود: أرض الميعاد، والأرض الموعودة هي إحدى الحجج التي استخدمها اليهود الصهيانية، لدفع اليهود في شتات الأرض للانتقال لفلسطين و استعمارها، و لم يعط اليهود تحديداً رسمياً، لأرض الميعاد، ولكنهم كذبوا؛ فقالوا: إنها من نهر مصر إلى نهر الفرات (ص/١٩-٢٠).

الرزق على الله:

ذكر ابن هذيل في كتابه: "مقالات أدباء ومناظرات النجباء": إن عروة بن أذينه، وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة؛ فقال له: الست القائل:

لقد علمْتُ و ما الإشراف من خلقي

أن الذي هو رزقي سوف يأتينـــي

أسعى لـه فيعنّيني تطلّبه

و لو أقمت أتاني لا يعنّيني

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق، فقال له: لقد وعظت فأبلغت، وزدت في الوعظ يا أمير المؤمنين، وأذكرني ما أنسانيه الدهر، وخرج من ساعته إلى راحلته، فركبها ثم نصّها راجعاً نحو الحجاز، فمكث هشام يومه غافلاً عنه، فلما كان في الليل، وهو قلق عليّ فراشه ذكره، وقال في نفسه رجل من قريش، قال حكمة، و وفد إليّ فجبهته، ورددته عن حاجته، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول.

فلما أصبح سأل عنه، فأخبر بانصرافه، فقال: لا جرم أن الرزق سيأتيه، ثم دعا بمولى له، وأعطاه ألفي دينار، وقال: الْحِقْ هذه ابن أذينة فأعطه إياها، فركب راحلته فلم يدركه إلا وقد دخل بيته، فقرع الباب عليه فخرج فأعطاه المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين السلام، وقل له: كيف رأيت قولي: سعيت فأكديت فأتاني الرزق.

وبمثل هذا يروى أن قاضي الأهواز أبطأت عليه أرزاقه، وحضر يوم الأضحى، فشكا لامرأته ذلك، وأنه ليس عنده ما يضحّي به، فقالت له: لا تغتمّ فإن عندنا ديكاً جليلاً فضحّ به، قال: نعم، ثم خرج إلى المصلّى واتّصل خبره إلى جيرانه وأهله، فبعث فلان كبشاً، وفلان كبشاً وفلان وفلان، حتى أصبح في دارة نحو الثلاثين كبشاً.

فلما انصرف من مصلاه وجد ذلك، فقال لامرأته: من أين هذا؟ قالت: أرسل فلان كذا وفلان كذا، فقال لها: تحفظي بديكنا هذا، فإنه قد يكون أكرم على الله من إسحاق، لأنه فدي بكبش واحد، وديكنا هذا فدي بثلاثين كبشاً (ص/١١٠-١١١)، (وانظر المستطرف: ج/٢، ص/٢٤٤).

الدعـــوة الإسلامـــية :

الأسماء الحسنى
تحديدها ومصادرها

بقلم : الدكتور سيد رضوان علي الندوي

لقد وصف الله سبحانه أسماءه بالحسنى في أربع آيات من القرآن الكريم ، وأمر عباده المؤمنين به أن يدعوه بها ، وهي :

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى * فَادْعُوْهُ بِهَا * وَذَرُوْا الَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِيْ أَسْمَائِهِ * سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴾ (الأعراف/١٨٠) .

﴿ قُلِ : ادْعُوْ اللهَ * أو ادْعُوْا الرَّحْمَنَ * أيّاً مَّا تَدْعُوْا * فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (الإسراء/١١٠) .

﴿ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ * لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (طه/٨) .

﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ * لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (الحشر/٢٤) .

و وجّه النبي الكريم ﷺ المسلمين في حديثه الصحيح المشهور : لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدة ، من أحصاها دخل الجنة ، وفي رواية : لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتْر يحب الوتر (١) .

وعُنى المسلمون من قديم بالأسماء الحسنى لهذه التوجيهات الكريمة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، جمعاً وحفظاً لهذه الأسماء ، ومن الجدير بالذكر أن ليس المقصود من هذه الأحاديث النبوية حصر أسماء الله الحسنى أو أسماء الصفات في العدد تسعة وتسعون ، ونقل الإمام النووي اتفاق العلماء عليه ، حيث قال : وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث : أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد عن دخول الجنة بإحصائها ، لا الإخبار

بحصر الأسماء ، وأوضحها المحدث القديم أبو سليمان الخطابي (م٣٨٨هـ) قائلاً : إنما هو بمنزلة قولك إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة ، وكقولك : إن لعمرو مائة ثوب من زاره خلعها عليه ، وهذا لا يدل على أن ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم ، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب ، وإنما دلالته على أن الذي أعده زيد الدراهم للصدقة ألف درهم ، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب .

والدليل على ذلك الحديث الصحيح : "اللهم إني عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ... إلخ ، فهذا يدلّك على أن لله أسماء لم يُنزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم" (٢) .

ومثل ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد الاحتجاج بحديث عبد الله بن مسعود المذكور آنفاً المخرج في مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وانتهى قائلاً : "فهذا (الحديث) يدل على أن لله أسماء فوق تسعة وتسعين يحصيها بعض المؤمنين" (٣) .

وقد اشتهر بين الناس قديماً وحديثاً حديث الترمذي عن التسعة وتسعين اسماً عن أبي هريرة ﷺ أيضاً يرفعه إلى رسول الله ﷺ ، وفيه ذكر هذه الأسماء التسعة والتسعين ، وهو في الحقيقة موضوع بحيثنا هذا ، وكان مثار بحث وجدل بين العلماء المحققين قديماً أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهما .

وحديث الترمذي هو : "حدثنا إبراهيم بن يعقوب نا صفوان ابن صالح نا الوليد بن مسلم نا شعيب بن أبي حمزة عبد أبي الزناد

عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحدة من أحصاها دخل الجنة ، هو الله الـذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس والسلام ... إلخ" .

و أورد الإمـام الـترمذي التسعة و التسعين اسماً ؛ و آخرهـا الصبور (٤) ، وختمه قائلاً : "هذا حديث غريب" .

وقد قال الإمام الترمذي بعد هذا الحديـث مباشـرة في الحديـث رقم/١٤٣٤ : "حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ، ولا نعرفـه إلا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عنـد أهـل الحديـث ، وقـد رُوى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة ﷺ عـن النـبي الكريـم ﷺ ، ولا نعلم في كبير شئ من الروايات ؛ ذكر الأسماء إلا في هذا الحديـث ، وقد روى آدم بن أبي اياس هذا الحديـث بإسـناد غـير هـذا عـن أبـي هريرة عن النـبي الكريـم ﷺ ، وذكـر فيـه الأسمـاء ، وليـس لـه إسـناد صحيح" .

وهكـذا صـرّح الإمـام الـترمذي بأنّـه لا يوجـد ذكـر أسمـاء الله الحسنى المذكورة لديه إلا في حديث صفوان عن الوليـد بـن مسـلم أو في رواية آدم بن أبي اياس بإسناد آخر يرتفع إلى أبي هريرة ﷺ أيضـاً ، ولكن سنده غير صحيح على حد قوله .

ثم بعد ذلك مباشرة أورد حديثاً ثالثاً عن ابن أبـي عمـر عـن سفيان (بن عينية) عن أبي الزناد عن الأعـرج عـن أبـي هريـرة عـن النبي الكريم ﷺ قال : "إن لله تسعة وتسعين اسماً مـن أحصاهـا دخـل الجنة" ، وليـس في هـذا الحديـث ذكـر الأسمـاء ، وهـو حديـث حسـن صحيح ، ورواه أبو اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عـن أبـي الزنـاد ، ولم يذكر فيه الأسماء ، انتهى كلام الترمذي .

ومن المؤسف الغريب أن الذين اهتموا بحديث الترمذي الأول

المذكورة فيه الأسماء الحسنى ، ونشروا هـذه الأسماء مستقلة في رسائل وجداول مع شرحها لم ينتبـهوا إلى الجملـة الأخـيرة في الحديـث "هـذا حديث غريب" ، كما لم ينتبهوا إلى حديثه الثالث ليس يه الوليـد بـن مسلم بل هو مروى عن سفيان بن عينية ، وتصريحـه فيـه : "ليـس في هذا الحديث ذكر الأسماء ، وهو حديث حسن صحيح" .

ولقد قال الحافظ ابن الصلاح في مقدمته عن علـوم الحديـث : "ثم إن الغريب ينقسم إلى صحيـح ، كـالأفراد المخرجـة في الصحيـح وإلى غير صحيح ، وذلك هو الغالب على الغرائب ، رُوينـا عـن أحمـد ابن حنبل ﷺ أنه قال غيره مرة : لا تكتبـوا هـذه الأحـاديث الغرائـب فإنها مناكير وعامتها عن الضعفاء" (٥) .

وهكـذا فمصـدر الأسمـاء الحسـنى التسـعة وتسـعين المتداولـة حديث الترمذي الذي سبق ذكره ، وهو حديث غريـب ضعيـف ، وقـد يكون من المنكر .

وهناك مصدر آخر لتحديد الأسماء الحسنى وهو الحديث المـروى في سنن ابن ماجة ، ورواه موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريـرة عن النبي الكريم ﷺ ، ولفظه : "أن رسـول الله ﷺ قـال : إن لله تسـعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، إنه وتر يحـب الوتـر مـن حفظـها دخـل الجنـة ، و هي الله الواحد الصمد الأول و الآخـر و الظـاهر و البـاطن ... إلخ" (٦) .

والغريب أن الأسماء المذكورة في هذا الحديث تختلف كثيراً عمـا هو في قائمة الترمذي ، وكثير من أسماء الله الحسنى فيه غير ما في روايـة الترمذي ، مثل الجميل ، الـرب الشـديد البرهـان ، الصـادق ، العـالم ، المنير، القديم وغيرها ، وهكذا فهو يختلف كثيراً عن حديث الترمذي .

وقد بحث الإمام ابن تيمية في الأسمـاء الحسـنى في فتـاواه مجيبـاً

على من سأله : "ألا يجوز الدعـاء إلا بالتسـعة و التسـعين اسماً ، و لا يقول : يا حنان ! يا منان ! ولا يقول : يـا دليـل الحـائرين ، فـهل لـه أن يقول ذلك ؟" .

فأجاب : الحمد لله هذا القول ، وإن كـان قـد قالـه طائفـة مـن المتأخرين كأبي محمد بن حزم وغيره ، فإن جمهور العلماء على خلافـه ، وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها وهو الصواب لوجوه :

أحدها : إن التسعة والتسـعين اسماً لم يـرد في تعيينـها حديـث صحيح عن النبي الكريم ﷺ ، وأشـهر مـا عنـد النـاس فيـها حديـث الترمذي الذي رواه الوليد بـن مسـلم عـن شـعيب عـن أبـي حمـزة ، وحفاظ أهل الحديث يقولون : هذه الزيادة مما جمعه الوليـد بـن مسـلم عن شيوخه من أهل الحديث ، وفيها حديـث ثـان أضعـف مـن هـذا ، رواه ابن ملجة ، وقد رُوى في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف" .

وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسـعة وتسـعين لم يمكنـه استخراجها من القرآن الكريم ، وإذا لم يقم على تعيينـها دليـل يجـب القول به لم يمكن أن يقال هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرهـا ... وإن قيل لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة ، قيل : هذا أكثر من تسعة وتسعين (٩) .

الحقيقة إنني انتبهت إلى هذا الأمر أي عدم وجود بعض أشـهر أسماء الله الحسنى في قائمة الأسماء الحسـنى المتداولـة منـذ سـنين عندمـا كنت أبحث عن الآيات التي وردت فيها تلـك الأسمـاء بمناسـبة معـرض هذه الأسماء الحسنى ، التصويرية بالذي أقيـم في عـام ١٩٨٩م ، وافتتحـه رئيس جمهورية بإكسـتان آنـذاك ، وكـان عملـي البحـث عـن الآيـات والأحـاديث الـتي وردت فيـها تلـك الأسمـاء ، وترجمتـها إلى الإنجليزيـة

والأردية لتوضع في صورة بطاقات بجانب اللوحات التصويريـة الملونـة المكتوبة فيها تلك الأسماء ، فوجدت أن بعـض أشـهر الأسمـاء الحسـنى وأكثرها وروداً في القـرآن الكريـم ؛ مثـل : الـرب ، القديـر ، المـولى ، النصير ، الإله وغيرهـا ، لا توجـد في هـذه القائمـة المشـهورة ، بينمـا وردت في تلك القائمة المعتمدة على حديث الترمذي المذكـور أعـلاه ، الخافض ، الرافع ، القابض ، الباسط ، الماجد وغيرهاً غـير المذكـورة في القرآن ، وإنما استخرجت هذه الأسمـاء مـن بعـض الأفعـال الـواردة في القرآن ، مثل : يرفع ، يقبض ، يبسط ، أو بعض الأحاديث .

بحثت عند ذلك في المصادر وأهمها فتاوى شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة وفتـح البـاري شـرح صحيـح البخـاري للحـافظ ابـن حجـر ، فوجدت أن كليـهما قـد انتقـدا حديـث الـترمذي المشـهور ، وكذلـك حديث ابن ملجة ، وانتهيا بقول : إن هـذه الأسمـاء مـن وضـع الـراوي الوليد بن مسلم وغيرهما من الرواة، ولم ترد في أي حديـث صحيـح ، وكنت أشرت إلى هذه الحقيقة في المقـال الصغـير بالإنجليزيـة والأرديـة بمناسبة المعرض المذكور آنفاً ، وشاء الله أن لا أكتب عن موضوع تحديد الأسماء الحسنى ومصادرها إلا الآن بعـض مُضـيّ سـنين عديـدة ، وقـد اطلعت خلال تلك السـنوات علـى مـا تيسّـر لي الاطـلاع عليـه مـن المصادرالقديمة والمراجع الحديثة غير ما كنت طالعته آنذاك .

وقد أورد الإمام ابن تيميـة في انتقـاده لحديـث الـترمذي إتمامـاً لكلامه الذي ذكرناه قبل ذلك : "إنه إذا قيل تعيينها على ما في حديث الترمذي ؛ مثلاً ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث مثـل الرب وأكـثر الدعـاء المشـهور ، إنمـا هـو بـهذا الاسـم ، ربّ اغفـر لي ولوالديّ ،ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، ربّنا ظلمنا أنفسنا" .

وكذلك اسم المنان ، ففي الحديث الذي رواه أهل السـنن : إن

النبي الكريم ﷺ سمع داعياً يدعو : اللهم إني أسألك بأن لـك الملـك ، أنت الله المنان ؟ ؟ ؟ .

أجاب : وإذا سئل به أعطى ، وهذا ردّ لقـول مـن زعـم أنـه لا يمكن في أسمائه المنان (٨) ، وثبت في الصحيح عـن النبي الكريـم ﷺ أنه قال : "أنّ الله وتر يحب الوتر" وليس هذا الاسم في هـذه التسعة والتسعين ، وثبت عنه في الصحيح أنه قال : إن الله جميل يحب الجمال ، وليس هو فيها ، وفي الـترمذي وغـيره أنـه قـال : إن الله نظيـف يحـب النظافة ، وليس هذا فيها ، وفي الصحيح عنه أنه قال : إن الله طيـب لا يقبل إلا الطيب ، وليس فيها هذا ، وتتبـع هـذا يطـول (٩) ، ثـم أورد ابن تيمية قائمة الأسماء الحسنى للترمذي ، وأشار إلى عدم وجـود أسمـاء السبّوح والشافي ، وأرحم الراحمين وغيرها من بعض الأسماء المضافة .

وتتبـع الحـافظ ابـن حجـر حديـث الـترمذي ، وقـال في هـذا الصدد : وقد تتبعت ما بقي من الأسماء ممـا ورد في القـرآن بصيغـة ممـا لم يذكر في رواية الـترمذي ؛ وهـي : الـرب ، الإلـه ، المحيـط ، القديـر ، الكافي ، الشاكر ، الشديد ، القائم ، الحاكم ، الفاطر ، الغافر ، القـاهر ، المولى ، النصير ، الغالب ، الخالق ، الرفيع ، المليك ، الكفيل ، الخـلاق ، الأكرم ، الأعلى ، المبين ، الحفي ، القريب ، الأحد ، الحافظ ، فهذه سبعة وعشرون اسماً إذا انضمت إلى الأسماء التي وقعت في رواية الترمذي ممـا وقعت في القرآن بصيغة الاسم تكمل بها التسعة والتسعون ، وكلـها في القـرآن ، لكـن بعضـها بإضافـة كالشـديد مـن (شـديد العقـاب) و الرفيـع مـن (رفيـع الدرجـات) والفـاطر مـن (فـاطر السـماوات والأرض) (١٠) .

وتعقبا لقـول الحـافظ ابـن حجـر يقـول كـاتب السـطور : إن الأسماء المقدمة من قبله بدل الأسماء الـواردة عنـد الـترمذي ليسـت في

الحقيقة سبعة وعشرين اسماً بـل هـي سـتة وعشـرون ، فـإن "الخـالق" موجود في حديث الترمذي ، وكان الأحرى به أن يقول المسـتعان ، بـدل الخالق ، ليكمل عدد سبعة وعشرين .

وقال ابن حجر بعد إيراد هذه الأسماء المذكورة آنفاً مـن القـرآن الكريم ، والأسماء التي تقابل هذه مما وقع في رواية الـترمذي بمـا لم تقـع في القرآن بصيغـة الاسـم وهـي سـبعة وعشـرون اسمـاً : القـابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعزّ ، المذل ، العدل ، الجليـل ، البـاعث ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المميت ، الواحـد ، المـاجد ، المقـدم ، المؤخـر ، الوالي ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، المغني ، المانع ، الضـار ، النـافع ، الباقي ، الرشيد ، الصبور (١١) .

و وقع سهو آخر من الحافظ ابن حجر في قوله هذا ، وهو عـدّ "ذو الجلال والإكرام" مـن الأسمـاء المشـتقة كالقـابض والباسـط مـن يقبض ويبسط في القرآن ، فإنّ "ذو الجلال والإكرام" كما هو الظـاهر اسم غير مشتق ، و ورد في سـورة الرحمـن : ﴿ تَبَـارَكَ اسْـمُ رَبِّـكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ .

ثم قدّم الحافظ ابن حجر قائمة الأسماء الحسنى من صنعه كاملة ، مفتتحاً بقوله : وهذا سردها لتحفظ ولو كان في ذلـك إعـادة ، لكنـه يغتفر لهذا القصد (١٢) .

والحقيقة أن في القرآن الكريم نفسه أكثر من تسـعة وتسـعين اسماً لله سبحانه ، فإن الحافظ أخذ الأسماء : الشديد ، الرفيـع ، الفـاطر ، الغافر ، العالم من الأسماء المضافة في القرآن على التوالي : شديد العقاب ، رفيع الدرجات ، فـاطر السـماوات والأرض ، غـافر الذنـب ، عـالم الغيب ، وعلى هذا يمكن أن يؤخـذ القـابل مـن قـابل التـوب في أول سورة الغافر أو المؤمن ، وكذلك الفالق من "فـالق الإصبـاح" وفـالق

الحب والنوى ، كلاهما في سـورة الأنعـام ، والجـامع مـن قولـه جـامع الناس ليوم لا ريب فيه وهكذا إلى آخره .

ولا شك أن الحافظ ابن حجر رحمه الله بحث في الأسماء الحسـنى بحثاً ضافياً من جميع النواحي ، وقارن بين روايتي الترمذي وابـن ملجـة ؛ كما ذكر روايات أخرى من سرد هذه الأسماء مع مقارنة بعضها ببعض ، ولكنه على الرغم مـن جـودة بحثـه وشمولـه ، لم يتكلـم عـن الراويـين اللذين رويا الحديثين الواردين في كل من جامع الـترمذي وسـنن ابـن ماجة ، وهما الوليد بن مسلم في الترمذي ، وموسى بن عقبـة في ابـن ملجة ، فنحاول أن نتكلم عنهما بهذه المناسبة .

فأما الوليد بن مسلم (ت/١٩٤هـ) الدمشـقي ، مـولى بـني أميـة فقد أورد له الإمام الذهبي ترجمة موسعة في سير أعلام النبـلاء ، وأثنـى على علمـه و ورعـه وزهـده ، ولكنـه أورد في نفـس الوقـت أقـوالاً للمحدثين تصرح بأنه كان مدلّساً ، وربّما دلّس عن الكذابين .

وقدم الذهبي حديثاً طويلاً برواية الوليد بـن مسـلم هـذا عـن ابن عباس ، بأن عليّـاً جـاء عنـد رسـول الله ﷺ ، واشـتكى إليـه بـأن "تفلّت هذا القرآن من صدري ، فما أجدني أقدر عليه" فعلّمـه النـبي الكريم ﷺ بأداء أربع ركعات من الصلاة يقـرأ في أولهـا بعـد الفاتحـة ياسـين ، وفي الثانيـة الدخـان ، وفي الثالثـة الم السـجدة ، وفي الرابعـة تبارك ، وأن يدعو بعد ذلك بدعوة كما علمه النبي الكريم ﷺ ، فدعا بهذا الدعاء وبأثره قويت ملكة الحفظ عند علـي ﷺ جـداً ، وجـاء إلى النبي الكريم ﷺ يخبره بذلك ، فقال النـبي الكريـم ﷺ : "مؤمـن وربّ الكعبة أبا الحسن" ، قال الترمذي : حسـن غريـب ، لا نعرفـه إلا مـن حديث الوليد . (انتهى كلام الذهبي) .

ثم عقب الذهبي على رواية الترمذي هذه قائلاً :

"هذا عندي موضوع ، ولعل الآفة دخلت على (كذا) سـليمان ابن بنت شرحبيل فيه ، فإنه منكر الحديث ، وإن كان حافظاً (١٣) .

وأما موسى بن عقبة فروى عند البخـاري معظـم مـا فيـه عـن غزوات النبي الكريم ﷺ ، وحديث في كتاب الجنائز ، باب التعـوذ مـن عذاب القبر ، عن موسى بن عقبة عن أمّ بنت خـالد ، قـالت : "كـان رسول الله يتعوذ من عذاب القبر" (١٤) .

فمعنى ذلك أنه ثقة عند البخاري ، وأما الذهبي فقد قـال عنـه في بداية ترجمته : "الإمام الثقة الكبير" ، وكذلك قل عنه ابـن سـعد : "كان ثقة ثبتاً" ، ومثل ذلك عن الإمـام مـالك الـذي قـال : "عليكـم بمغازي موسى فإنه رجل ثقة" (١٥) .

هذا وإنـه مـن التـابعين فقـد أدرك ابـن وجـابر بـن عبـد الله الأنصاري ، وحدث عن أمّ خالد الصحابية .

وفي ضوء سيرة كل من الوليد بن مسلم وموسـى بـن عقبـة ، وجرح وتعديل لهما يتأكد أن رواية ابن ملجة عن الأسماء الحسنى أوثـق من رواية الـترمذي ، ولكـن مـن عجـائب الزمـن أن شـاعت روايـة الترمذي الـتي لا توجـد فيـها الأسمـاء الحسـنى المشـهورة والمذكـورة في القرآن الكريم ، مثل : الربّ ، القدير ، المولى ، النصـير وغيرهـا ؛ كمـا تقدم بيانه ، وأما القائمة المذكورة في سنن ابن ملجة برواية موسى بـن عقبة ، وإن وجد فيها الربّ وبعض الأسماء الحسنى الأخـرى المذكـورة في القرآن ، فإنها لا تخلو أيضاً عن النقص ما في القرآن وإيـراد بعـض الأسماء ليست هي مذكورة في القرآن كالتامّ ، القديم ، البارّ ، الصـادق ، الأبد ، وغيرها ، والظاهر أنه أيضاً من صنع بعـض الـرواة أو موسـى بن عقبة نفسه .

ومن ثم فقد قدّم الحافظ ابن حجر قائمة للأسماء الحسـنى مـن

صنعه ؛ كما تقدمت الإشارة إليـها ، ولا شـك أنـها أوفـى مـن قائمـة الترمذي وابن ملجة ، ولكن بإمكان أن يزاد إليـها بعـض الأسمـاء مـن القرآن نفسه ، كشديد العقاب وذي الطول وغيرهما .

---

(١) كلتا الروايتين عن أبي هريرة في صحيح البخاري ، الأولى في كتاب الشروط ، حديث رقم/٢٧٣٦ في فتح الباري ، والثانية في البخاري أيضاً كتـاب الدعـوات ، باب "لله مائة اسم غير واحدة" ورقمه في فتح الباري /٦٤١٠ ، والروايـة الثانيـة في صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة في كتاب الدعاء ، وهذه الطبعة رديئة ، فيها أسماء مكررة وبعض النقص .

(٢) شأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي تقله عنه محمد الحمود النجـدي في كتابـه النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (الكويت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) : ص/٤٩-٥٠ .

(٣) مجموع الفتاوى (إصدار الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين) : ٣٨١/٦ .

(٤) جامع الترمذي ، أبواب الدعاء : ٢٢٢/٢-٢٢٣ (ط/ كراتشي ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، وأوردها الإمام ابن تيمية في فتاواه : ٤٨٤/٢٢-٤٨٥ ببعض التغيير .

(٥) مقدمة ابن صلاح عن علوم الحديث .

(٦) سنن ابن ملجة ، باب الدعاء ، باب أسماء الله الحسنى : ٤٤٤/٢ (طبعة كراتشي ١٤٠٣هـ) .

(٧) شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في فتاواه ، باب أسماء الله الحسنى .

(٨) فتاوى ابن تيمية (الطبعة المذكورة سابقاً) : ٤٨٣/٢٢ (و وقـع خطـأ في ترقيـم المطبوع ففيه الصفحة : ٤٨٤ ، والصواب : ٤٨٣) .

(٩-١٠) نفس المصدر . (١١) ابن حجر العسقلاني .

(١٢) المصدر نفسه . (١٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٢١٨/٩ .

(١٤) الذهبي ، نفس المصدر : ج/٦ ، ص/١١٨ .

(١٥) الإمام مالك ، ترجمة موسى بن عقبة .

الفقـــه الإسلامي :

زكاة الأراضي و المنتجات الزراعية

(١)

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان ابو احمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

الزكاة في الأرض الخراجيـة تنقسـم الأرض إلى : عشـرية "أي التي تجب فيها زكاة العشـر" وهـي الأرض الـتي أسـلم أهلـها عليـها طوعـاً ، أو فتحـت عنـوة وقسـمت بـين الفـاتحين ، أو الـتي أحياهـا المسلمون ، وخراجية ، وهـي الأرض الـتي فتحـت عنـوة ، وتركـت في أيدي أهلها ، نظير خراج معلوم ، والزكاة كما تجـب في أرض العشـر ، تجب كذلك في أرض الخراج ، إذا أسلم أهلـها ، أو اشـتراها المسـلم ، جمع فيها العشر والخراج ، ولا يمنع أحدهما وجوب الآخر ، قال ابن المنذر : وهو قول أكثر العلماء ، وممن قـال بـه عمـر بـن عبـد العزيـز وربيعـة والزهـري ويحيـى الأنصـاري ومـالك والأوزاعـي والثـوري والحسن بن صالح وابن أبي ليلى والليث وابن المبارك وأحمد وإسحاق وأبو عبيد وداؤد ، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسـنة والمعقـول أي بالقياس ، أما الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! أَنْفِقُـوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ * وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّـنَ الأَرْضِ** ﴾ (البقـرة/٢٦٧) فأوجب الإنفاق مـن الأرض مطلقـاً سـواء كـانت الأرض خراجيـة أو عشرية ، وأما السنة فقوله عليـه الصـلاة والسـلام : **"فيمـا سـقت السـماء العشر"** وهو عام يتناول العشرية والخراجية ، وأما المعقول فلأن الزكاة والخراج حقان بسببين مختلفين لمستحقين ، فلـم يمنـع أحدهمـا الآخـر ، كما لو قتل المحرم صيداً مملوكاً ، ولأن العشر وجب بالنص ، فلا يمنعـه الخراج الواجب بالاجتـهاد ، وذهـب أبـو حنيفـة : إلى أنـه لا عشـر في

الأرض الخراجية ، وإنما الواجب فيها الخراج فقط كما كانت ، وإن من شروط وجوب العشر أن لا تكون الأرض خراجية ، استدل الإمام أبو حنيفة لمذهبه بما رواه ابن مسعود أن النبي الكريم ﷺ قال : **"لا يجتمع عشر وخراج في أرض مسلم"** وهذا الحديث مجمع على ضعفه ، وبما رواه أحمد ومسلم وأبو داؤد عن أبي هريرة أن النبي الكريم ﷺ قال : **"منعت العراق قفيزها ودرهمها ، ومنعت الشام مديها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ، وعدتم من حيث بدأتم ، قالها : ثلاثاً ، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه"** وليس في هذا الحديث دلالة على عدم أخذ الزكاة من الأرض الخراجية ، فقد أوله العلماء على معنى أنهم سيسلمون وتسقط الجزية عنهم ، أو أنه إشارة إلى الفتن التي تقع آخر الزمان ، المؤدية إلى منع الحقوق الواجبة عليهم ، من زكاة وجزية وغيرهما .

قال النووي : عقب التأويلين لو كان معنى الحديث ما زعموه للزم أن لا تجب زكاة الدراهم والدنانير والتجارة ، وهذا لا يقول به أحد ، وروى : أن دهقان بهر الملك ، لما أسلم ، قال عمر بن الخطاب : سلموا إليه الأرض وخذوا منه الخراج ، وهذا صريح في الأمر بأخذ الخراج دون الأمر بأخذ العشر ، وهذه القصة ، يقصد بها أن الخراج لا يسقط بإسلامه ، ولا يلزم من ذلك سقوط العشر ، وإنما ذكر الخراج ، لأنه ربما يتوهم سقوطه بالإسلام كالجزية ، وأما العشر فمعلوم أنه واجب على الحر المسلم فلم يحتج إلى ذكره ، كما أنه لم يذكر أخذ زكاة الماشية منه ، وكذا زكاة النقدين وغيرها ، أو لأن الدهقان لم يكن له ما يجب فيه العشر ، وأن عمل الولاة والأئمة على عدم الجمع بين العشر والخراج ، وهذا ممنوع بما نقله ابن المنذر من أن عمر بن عبد العزيز جمع بينهما ، وأن الخراج يباين العشر ، فإن الخراج وجب عقوبة بينما

العشر وجب عبادة ، ولا يمكن اجتماعهما في شخص واحد فيجبا عليه معاً ، وهذا صحيح في حالة الابتداء ، ممنوع في حالة البقاء ، وليس كل صور الخراج أساسها العنوة والقهر ، بل يكون في بعض صوره مع عدم العنوة ، كما في الأرض القريبة من أرض الخراج ، أو التي أحياها وسقاها بماء الأنهار الصغار .

إن سبب كل من الخراج والعشر واحد ، وهو الأرض النامية ، حقيقة أو حكماً ، بدليل أنها لو كانت سبخة لا منفعة لها ، لا يجب فيها خراج ولا عشر ، وإذا كان السبب واحداً ، فلا يجتمعان معاً في أرض واحدة ، لأن السبب الواحد لا يتعلق به حقان من نوع واحد ، كما إذا ملك نصاباً من السائمة للتجارة سنة ، فإنه لا يلزمه زكاتان ، والجواب : أن الأمر ليس كذلك ، فإن سبب العشر الزرع الخارج من الأرض ، والخراج يجب على الأرض ، سواء زرعها أم أهملها ، وعلى تسليم وحدة السببية فلا مانع من تعلق الوظيفتين بالسبب الواحد ، الذي هو الأرض كما قال الكمال بن الهمام .

يري جمهور العلماء أن من استأجر أرضاً فزرعها فالزكاة عليه ، دون مالك الأرض ، وقال أبو حنيفة : الزكاة على صاحب الأرض ، قال ابن رشد : والسبب في اختلافهم ، هل العشر حق الأرض أو حق الزرع ؟ فلما كان عندهم أنه حق لأحد الأمرين ، اختلفوا في أيهما أولى أن ينسب إلى موضع الإنفاق ، وهو كون الزرع والأرض لمالك واحد ، فذهب الجمهور : إلى أنه ما تجب فيه الزكاة ، وهو الحب ، وذهب أبو حنيفة : إلى أنه ما هو أصل الوجوب وهو الأرض ، ورجح ابن قدامة رأي الجمهور ؛ فقال : إنه واجب في الزرع ، فكان على مالكه ، كزكاة القيمة ، فيما إذا أعده للتجارة ، وكعشر زرعه في ملكه ، ولا يصح قولهم : إنه من مؤنة الأرض لأنه لو كان من مؤنتها لوجب فيها ، وإن لم تزرع كالخراج ، ولوجب على الذمي ، كالخراج ، ولتقدر

بقدر الأرض لا بقدر الزرع ، ولوجب صرفه إلى مصارف الفيء دون مصرف الزكاة ... (١) .

زكاة الزروع والثمار : أوجب الله تعالى زكاة الزروع والثمار ؛ فقال ﷻ في سورة الأنعام ، الآية/١٤١ : ﴿ وَهُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوْشَاتٍ * وَّغَيْرَ مَعْرُوْشَاتٍ * وَّالنَّخْلَ * وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ * وَالزَّيْتُوْنَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِه * كُلُوْا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَأْتُوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ، قال ابن عباس : حقه أي الزكاة المفروضة ، ومقدارها : العشر ونصف العشر .

وقد كانت الزكاة على عهد رسول الله ﷺ تؤخذ من الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، فعن أبي بردة عن أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعثهما إلى اليمن ؛ يعلمان الناس أمر دينهم ، فأمرهم أن لا يأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة : الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، رواه الدارقطني والحاكم والطبراني والبيهقي ، وقال : رواته ثقات وهو متصل ، قال ابن المنذر وابن عبد البر : وأجمع العلماء على أن الصدقة واجبة في الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، ولم تكن تؤخذ الزكاة من الخضراوات ولا من غيرها من الفواكه إلا العنب والرطب ، فعن عطاء بن السائب : أن عبد الله بن المغيرة أراد أن يأخذ صدقة من أرضى موسى بن طلحة من الخضراوات ؛ فقال موسى بن طلحة : ليس لك ذلك ؛ إن رسول الله ﷺ كان يقول : **"ليس في ذلك صدقة"** رواه الدارقطني والحاكم والأثرم في سننه ، هو مرسل قوي ، وقال موسى بن طلحة : جاء الأثر عن رسول الله ﷺ في خمسة أشياء : الشعير ؛ والحنطة ؛ والسلت "نوع من الشعير" ؛ والزبيب ، والتمر ، وما سوى ذلك مما أخرجت الأرض فلا عشر فيه ، و قال : إن معاذاً لم يأخذ من الخضر صدقة ، قال البيهقي : هذه الأحاديث كلها مراسيل ، إلا أنها من طرق مختلفة ،

فيؤكد بعضها بعضاً ، ومعها من أقوال الصحابة عمر وعلي وعائشة .

وروى الأثرم : أن عامل عمر كتب إليه في كروم فيها من الفرسك "الخوخ" والرمان ما هو أكثر غلة من الكروم أضعافاً ؟ فكتب إليه : أنه ليس عليها عشر ، هي من العضاه ، قال الترمذي : والعمل على هذا عند أهل العلم : أنه ليس في الخضراوات صدقة ، وقال القرطبي : إن الزكاة تتعلق بالمقتات ، دون الخضراوات وقد كان بالطائف الرمان والفرسك والأترج ، فما ثبت أن النبي الكريم ﷺ أخذ منها زكاة ، ولا أحد من خلفائه ، قال ابن القيم : ولم يكن من هديه أخذ الزكاة من الخيل والرقيق ، ولا البغال ، ولا الحمير ، ولا الخضراوات ، ولا الأباطخ والمقاتي ، والفواكه التي لا تكال ولا تدخر إلا العنب والرطب ، فإنه يأخذ الزكاة منه جملة ، ولم يفرق بين ما يبس وما لم يبيس ، ولم يختلف أحد من العلماء في وجوب الزكاة في الزروع والثمار ، وإنما اختلفوا في الأصناف التي تجب فيها ، إلى علة آراء نجملها فيما يلي : رأي الحسن البصري والشعبي : أنه لا زكاة إلا في المنصوص عليه ، وهو الحنطة والشعير والذرة والتمر والزبيب ، لأن ما عداه لا نص فيه ، واعتبر الشوكاني هذا المذهب الحق ، رأي أبي حنيفة : أن الزكاة واجبة في كل ما أنبتته الأرض ، لا فرق بين الخضراوات وغيرها ، واشترط أن يقصد بزراعته استغلال الأرض ونماؤها عادة ، واستثنى الحطب والقصب الفارسي "هو البوص في اللغة العامية المصرية" والحشيش والشجر الذي لا ثمر له ، واستدل لذلك بعموم قوله ﷺ : **"فيما سقت السماء العشر"** وهذا عام يتناول جميع أفراده ، ولأنه يقصد بزراعته نماء الأرض فأشبه الحب ، رأى أبي يوسف ومحمد : أن الزكاة واجبة في الخارج من الأرض ، بشرط أن يبقي سنة بلا علاج كثير ، سواء أكان مكيلاً كالحبوب ، أو موزوناً كالقطن والسكر ، فإن كان لا يبقى سنة ، كالقثاء والخيار والبطيخ

والشمام ونحوها من الخضراوات والفواكه ، فلا زكاة فيه .

مذهب مالك : أنه يشترط فيما يخرج من الأرض أن يكون مما يبقى ويبس ويستنبته بنو آدم ، سواء أكان مقتاتاً كالقمح والشعير ، أو غير مقتات كالقرطم والسمسم ، ولا زكاة عنده في الخضراوات والفواكه ، كالتين والرمان والتفاح .

وذهب الشافعي : إلى وجوب الزكاة فيما تخرجه الأرض ، بشرط أن يكون مما يقتات ويدخر ، ويستنبته الآدميون ، كالقمح والشعير .

قال النووي مذهبنا : أنه لا زكاة في غير النخل والعنب من الأشجار ، ولا في شئ من الحبوب إلا فيما يقتات ويدخر ، ولا زكاة في الخضراوات .

وذهب أحمد : إلى وجوب الزكاة في كل ما أخرجه الله من الأرض ، من الحبوب والثمار ، مما ييبس ويبقى ويكال ويستنبته الآدميون في أراضيهم سواء أكان قوتاً كالحنطة أو من القطنيات "هي الحبوب سوى البر والشعير سميت بذلك لأنها تقطن في البيوت أي تخزن وهي كالعدس والحمص والبسلة والجلبان والترمس واللوبيا والفول ، أو من الأباريز كالكسبرة والكراويا ، أو من البذور كبذر الكتان والقثاء والخيار ، أو حب البقول كالقرطم والسمسم .

وتجب عنده أيضاً فيما جمع هذه الأوصاف من الثمار اليابسة كالتمر والزبيب والمشمش والتين واللوز والبندق والفستق .

ولا زكاة عنده في سائر الفواكه كالخوخ والكمثرى والتفاح والمشمش والتين اللذين لا يجففان ولا في الخضراوات كالقثاء والخيار والبطيخ والباذنجان واللفت والجزر .

قال النووي : وأما الزيتون فالصحيح عندنا أنه لا زكاة فيه ، وبه قال الحسن بن صالح وابن أبي ليلى وأبو عبيد ، وقال الزهري

والأوزاعي والليث ومالك والثوري وأبو حنيفة وأبو ثور : فيه الزكاة .

قال الزهري والليث والأوزاعي : يخرص فتؤخذ زكاته زيتاً .

وقال مالك : لا يخرص بل يؤخذ العشر بعد عصره وبلوغه خمسة أوسق .

قال ابن راشد : وسبب الخلاف أما بين من قصر الزكاة على الأصناف المجمع عليها وبين من عداها إلى المدخر المقتات ، فهو اختلافهم في تعلق الزكاة بهذه الأصناف الأربعة ؛ هل هو لعينها أو لعلة فيها ؛ وهي الاقتيات ؟ فمن قال : لعينها ، قصر الوجوب عليها ، ومن قال لعلة الاقتيات ، عدى الوجوب لجميع المقتات ، وسبب الخلاف بين من قصر الوجوب على المقتات ، وبين من عداه إلى جميع ما تخرجه الأرض "إلا ما وقع عليه الإجماع من الحشيش والحطب والقصب" معارضة القياس لعموم اللفظ : أما اللفظ الذي يقتضي العموم فهو قوله عليه الصلاة والسلام : **"فيما سقت السماء العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر"** و (ما) بمعنى الذي و (الذي) من ألفاظ العموم .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوْشَاتٍ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ وَآتُوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾

وأما القياس فهو أن الزكاة إنما المقصود به سد الخلة ، وذلك لا يكون غالباً إلا فيما هو قوت ، فمن خصص العموم بهذا القياس ، أسقط الزكاة مما عدا المقتات ، ومن غلب العموم ، أوجبها فيما عدا ذلك ، إلا ما أخرجه الأجماع ، والذين اتفقوا على المقتات اختلفوا في أشياء من قبل اختلافهم فيها ، هل هي مقتاتة أم ليست بمقتاتة ؛ وهل يقاس على ما اتفق عليه أو ليس يقاس ؟ مثل اختلاف مالك والشافعي ، في الزيتون ، فإن مالكاً ذهب إلى وجوب الزكاة فيه ، ومنع الشافعي ذلك في قوله الأخير بمصر ، وسبب اختلافهم ، هل هو

قوت ، أو ليس بقوت .

نصاب زكاة الزروع والثمار : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الزكاة لا تجب في شئ من الزروع والثمار ، حتى تبلغ **خمسة أوسق بعد** تصفيتها أوسق بعد تصفيتها من التبن والقشر ، فإن لم تصف ، بأن تركت في قشرها ، فيشترط أن تبلغ عشرة أوسق .

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي الكريم ﷺ قال : **"ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة"** والوسق ، ستون صاعاً بالإجماع ، وقد جاء ذلك في حديث أبي سعيد وهو حديث منقطع ، وذهب أبو حنيفة ومجاهد إلى وجوب الزكاة في القليل والكثير ، لعموم قول الرسول الأعظم ﷺ : **"فيما سقت السماء العشر"** ولأنه لا يعتبر له حول ، فلا يعتبر له نصاب ، قال ابن القيم : قد وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في تقدير نصاب المعشرات بخمسة أوسق ، بالمتشابه من قوله : "فيما سقت السماء العشر وما سقي بنضح أو غرب فنصف العشر" قالوا وهذا يعم القليل والكثير وقد عارضه الخاص ، ودلالة العام قطعية كالخاص وإذا تعارضا قدم الأحوط ، وهو الوجوب ، فيقال : يجب العمل بكلا الحديثين ، ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر ، وإلغاء أحدهما بالكلية ، فإن طاعة الرسول الحبيب ﷺ فرض في هذا ، وفي هذا ، ولا تعارض بينهما ، بوجه من الوجوه ، فإن قوله : "فيما سقت السماء العشر" إنما أريد به التمييز ، بين ما يجب فيه العشر ، وما يجب فيه نصفه ، فذكر النوعين ، مفرقا بينهما في مقدار الواجب ، وأما مقدار النصاب فسكت عنه في هذا الحديث ، وبينه نصاً في الحديث الآخر ، فكيف يجوز العدول عن النص الصحيح الصريح المحكم الذي لا يحتمل غير ما أول عليه ألبته ، إلى المجمل المتشابه ، الذي غايته أن يتعلق فيه بعموم لم يقصدوا بيانه بالخاص المحكم المبين كبيان سائر العمومات بما يخصصها من

النصوص ؟.

وقال ابن قدامه قول النبي الكريم ﷺ : "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة" (متفق عليه) ، هذا خاص يجب تقديمه وتخصيص عموم ما رووه به كما خصصنا قوله ﷺ : **"في كل سائمة من الإبل الزكاة"** بقوله : **"ليس فيما دون خمس ذود صدقة"** وقوله : **"في الرقة ربع العشر"** بقوله : **"ليس فيما دون خمس أواق صدقة"** ولأنه مال تجب فيه الصدقة ، فلم تجب في يسيره ، كسائر الأموال الزكوية .

وإنما لم يعتبر الحول ، لأنه يكمل نماؤه باستحصاده ، لا ببقائه ، واعتبر الحول في غيره لأنه مظنة لكمال النماء في سائر الأموال ، والنصاب اعتبر ليبلغ حداً يحتمل المواساة منه فلهذا اعتبر فيه ، يحققه : أن الصدقة إنما تجب على الأغنياء ولا يحصل الغنى بدون النصاب ، كسائر الأموال الزكوية .

هذا ؛ والصاع قدح وثلث ، فيكون النصاب خمسين كيلة فإن كان الخارج لا يكال ، فقد قال ابن قدامه ونصاب الزعفران والقطن ، وما ألحق بهما من الموزونات ، ألف وستمائة رطل بالعراقي فيقوم وزنه مقامه "الخمسة الأوسق تساوي ألفاً وستمائة رطل عراقي ؛ والرطل العراقي ١٣٠ درهماً تقريباً" ، قال أبو يوسف : إن كان الخارج مما لا يكال ، لا تجب فيه الزكاة إلا أن بلغ قيمة نصاب من أدنى ما يكال ، فلا تجب الزكاة في القطن إلا إذا بلغت قيمته خمسة أوسق ، من أقل ما يكال ، كالشعير ونحوه ، لأنه لا يمكن اعتباره بنفسه ، فاعتبر بغيره ، كالعروض يقوم بأدنى النصابين من الأثمان ، وقال محمد : يلزم أن يبلغ خمسة أمثال من أعلى ما يقدر به نوعه ، ففي القطن لا تجب فيه الزكاة إن بلغ خمسة قناطير ، لأن التقدير بالوسق فيما يوسق كان باعتبار أنه أعلى ما يقدر به نوعه . (يتبع)

(١) فقه السنة - السيد سابق : ج/١ ، ص/٣٥٥ إلى ص/٣٥٨ .

دراسات أدبيـــــة :

المعلّقات السبع بين الحقيقة والأسطورة

بقلم : أ.د/محمد السيد علي بلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد الكتّاب - القاهرة)

المعلقات : مصطلح أدبي يطلق على مجموعة من القصائد المختارة لأشهر شعراء الجاهلية ، تمتاز بطول نفسها الشعري ، وجزالة ألفاظها ، وثراء معانيها ، وتنوع فنونها ، وشخصية ناظميها .

وقد أطلق الرواة والباحثون على هذه المجموعة من قصائد الشعر الجاهلي أسماء أخرى إلا أنها أقل ذيوعاً وجرياناً على الألسنة من لفظ المعلقات ، ومن هذه التسميات :

١- **السبع الطوال** : وهي وصف لتلك القصائد بأظهر صفاتها ، وهو الطول .

٢- **السُّموط** : تشبيهاً لها بالقلائد والعقود التي تعلقها المرأة على جيدها للزينة .

٣- **المذهبات** : لكتابتها بالذهب أو بمائه (١) .

فقد ذكر القدماء أنه قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له "أنْ عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها في أشعار الكعبة ، فمنه يقال : مذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير ... ، وقد يقال لها

(١) الموسوعة العربية العالمية : ج/١٤ ، ص/١٤٠ ، الطبعة الثانية (مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع بالرياض ، سنة ١٤١٩هـ) .

المعلقات" ، على حد تعبير ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢) .

وأضاف البغدادي : "ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول : علقوا لنا هذه ؛ لتكون في خزانته" (٣) .

٤- **القصائد السبع المشهورات** : علل النحاس (ت/٣٣٨هـ) هذه التسمية بقوله : لما رأى حماد الراوية زهد الناس في حفظ الشعر ، جمع هذه السبع وصفهم عليها ، وقال لهم : هذه المشهورات ؛ فسميت القصائد السبع المشهورات لهذا .

٥- **السبع الطوال الجاهليات** : أطلق ابن الأنباري (ت/٣٢٨هـ) هذا الاسم على شرحه لهذه القصائد .

٦- **القصائد السبع أو القصائد العشر** : الاسم الأول هو عنوان شرح الزوزني (ت/٤٨٦هـ) ، أما التبريزي (ت/٥٠٢هـ) ، فقد عنون شرحه لهذه القصائد بـ (شرح القصائد العشر) (٤) .

هذا ؛ وعن التسمية بالمعلقات : فلعلها لم ترد لأول مرة إلا في (جمهرة أشعار العرب : لأبي زيد القرشي) (حوالي منتصف القرن الثالث الهجري) ؛ حيث اختط القرشي لنفسه منهجاً في تصنيف القصائد المختارة ؛ فقد قسمها إلى سبعة أقسام ، في كل قسم سبع قصائد ، وقد جعل هذه الأقسام مندرجة مع طبقات الشعراء من

(٢) العقد الفريد - ابن عبد ربه (ت/٣٢٨هـ) ، تحقيق محمد سعيد العريان : ج/٦، ص/١١٩ (ط/الاستقامة ، سنة ١٩٤٠م)، وانظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - د/ناصر الدين الأسد : ص/١٦٩ ، ط/٧ (دار الجيل ببيروت ، سنة ١٩٨٨م) .

(٣) خزانة الأدب - للبغدادي (ت/١٠٩٣هـ) : ١/١٢٣-١٢٤ (المطبعة السلفية ، سنة ١٣٤٧هـ) .

(٤) الموسوعة العربية العالمية : ج/١٤ ، ص/١٤٠ .

الجاهلية إلى العصر الأمـوي ، فالقسـم الأول يختـص بالطبقـة الأولى : وهي عنده أصحاب المعلقات ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة (٥) .

ثم وردت الإشارة إلى المعلقات بعـد ذلـك بحـوالي قـرن عندمـا حاول ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) أنْ يقدّم شرحاً لهذه التسـمية : فذهـب إلى أنّ العرب في الجاهلية قد عمدت إلى سبع قصائد تخيرتـها وكتبتـها بماء الذهب وعلقتها في أستار الكعبة (٦) .

ومن ثم كانت هذه القصائد تسمّى كذلك بالمذهبـات ، إشـارة إلى كتابتها بماء الذهب ، ولكن أبـا جعفـر بـن النحـاس (ت٣٣٨هـ) أنكر أنْ يكون سبب تُسـميتها بالمعلقـات أنـها كـانت معلقـة بأسـتار الكعبة ، وهو لذلك يسميها بالسبع الطوال ، ويذكـر أنّ حمـاد الروايـة هو الذي جمعها (٧) .

هذا ؛ في الوقت الذي احتدم الخلاف فيـه بـين حـول : حقيقـة المعلقات السبع من عدمه ؟ و وصل الأمر إلى أنْ أطلق الدكتور شوقي ضيف صيحة تقول : "أما مـا يقـال مـن أن المعلقـات كـانت مكتوبـة ومعلّقة في الكعبة فمن باب الأساطير ، وهو في حقيقته ليس أكثر مـن تفسير فسّر به المتأخرون معنـى كلمـة المعلقـات ، فقـد جـاء في العقـد الفريد أنّه بلغ من شغف العرب بالشعر أن (عمدت إلى سبع قصـائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بمـاء الذهـب في القبـاطى المدرجـة وعلقتها في أستار الكعبة ؛ فمنه يقال : مذهّبـة امـرئ القيـس ومذهبـة

(٥-٦) المصادر الأدبية واللغويـة - د/عـز الديـن إسـماعيل : ص٦٦ ، ٨٢ (ط/دار النهضة العربية ببيروت ، د.ت.) .

(٧) نفس المرجع : ص٦٦ ، وانظر ما بعدها تجد مزيداً من التفصيل .

زهير .. والمذهبات السبع ، وقد يقال لها المعلقات) ، ولـو أنـهم تنبـهوا إلى المعنى المـراد بكلمـة المعلقـات مـا لجـأوا إلى هـذا الخيـال البعيـد ، ومعناهـا : المقلّـدات والمسـمطات ، وكـانوا يسـمون فعـلاً قصـائدهم الطويلة الجيدة بهذين الاسمين وما يشبههما (٨) .

أقول : ولعل اعتراض بعض المحدثـين علـى حقيقـة المعلقـات السبع ؛ يعود إلى أمرين :

الأول : أنّ العرب لم يكونوا في جاهليتهم أمة كاتبـة تبلـغ بـها معرفتها بالكتابة أنْ تسجل شعرها وتكتبه .

والثاني : أنّ الكعبة لها من الاحترام والقدسـية مـا لا يبيـح أنْ تعلق فيها المدونات والمكتوبات (٩) .

وانبرى لهؤلآء الدكتور ناصر الدين الأسد حين ردّ على هذيـن الاعتراضين ، قائلاً : إنّ الجاهلية العربية عرفت الكتابـة معرفـة قديمـة واسعة ، واستخدمتها في جلّ شئونها ، وكتبت بعض شعرها وأخبارهـا وأنسابها ، ودوّنتها في صحف وكتب ودواوين ، فالقول - إذن - بأميـة الجاهلية فرض واهم يجب أنْ نسقط جميـع مـا رُتّـب عليـه مـن نتـائج باطلة .

وأما الشق الثاني من اعتراض المحدثين فـهو كذلـك لا يثبـت للنظـر والتحقيـق ؛ إذ أنّ عـرب الجاهليـة كـانوا يعلقـون وثائقـهم وكتاباتهم ذات القيمة في الكعبة لقداستها في نفوسهم ؛ وذلك إظهاراً لعلوّ مكانة هذه الوثائق والكتابات ولبيان قيمتها وخطرها .

وأوضح مثال على أنّ تعليق هذه الكتابـات كـان أمـراً مألوفـاً

(٨) العصر الجاهلي - د/شوقي ضيـف : ص١٤ (الطبعـة الثامنـة (دار المعـارف د.ت.) .

(٩) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ص١٧ .

متعارفاً عند عرب الجاهلية ما ذكره محمد بن حبيب عن حلـف خزاعـة لعبد المطلب ، قال : "وكتبوا بينهم كتاباً ، كتبه لهم أبو قيس بـن عبـد مناف بن زهرة ... ثم علقوا الكتاب في الكعبة" (١٠) .

ومثل ثان : هذه الصحيفة التي كتبتها قريـش حينمـا اجتمعـت على بني هاشم وبني المطلب ثم تعـاهدوا وتواثقـوا علـى ذلـك ، ثـم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيـداً علـى أنفسـهم (١١) ، وقـد بقيت هذه الصحيفة في الكعبة دهراً ، فلما أخرجوها بعد ذلك وجدوا أنّ الأرضة لم تدَعْ في الصحيفة إلا أسماء الله (١٢) .

بعد هذا كله ؛ فإننا لا نملك - كما يقول الدكتور ناصر الديـن الأسد - وسيلة قاطعة للإثبات أو النفـي ، ولا يجـب أنْ نعتسـف الطريـق ونقتحم كما يقتحم غيرنا ، وكل ما نستطيع أنْ نقوله : إنّ الاعـتراض الذي قدمه القدماء كاعتراض ابن النحاس ، والذي قدمه المحدثـون ، لا يثبت - في رأينا - للتحقيق والتمحيص ؛ فإذا ما استطعنا أنْ ننفى هذا الاعتراض بقي القـول الأول بكتابـة المعلقـات وتعليقـها - سـواء في الكعبة أو خزانة الملك أو السيد - قولاً قائمـاً ، ترجيحـاً لا يقينـاً ، إلى أن يتاح له اعتراض جديد ينفيه ، أو سند جديد يؤيده ويثبته (١٣) .

---

(١٠) المرجع السابق : ص/١٧١ ، نقلاً عن ديوان حسان بن ثابت (مخطوط بمكتبة أحمد الثالث : ورقة : ١٥-١٦) .

(١١) سيرة ابن هشام : تحقيق مصطفى السقا وآخرين : ٣٧٥/١-٣٧٦ (ط/مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٩٣٦م) .

(١٢) المصدر السابق : ١٦/٢ ، وانظر : مروج الذهـب : ٤٠٤/٣ ، الطبعـة الثانيـة ، سنة ١٩٤٨م .

(١٣) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ص/١٧٠ .

القصة عند الطنطاوي من منظور الأدب الإسلامي

بقلم : الأستاذ سيد محامد الهاشمي
(باحث الدكتوراه بالجامعة العثمانية)

منذ زمن بعيد يميل الإنسان إلى القصة ويشتاق إليها ، ولا يزال يتهافت عليها في عصرنـا هـذا ، مـن حيـث إنـها هـي تشـتهي إليـها الأنفس وتلذ القلوب كما عبّر الكاتب الكبـير الأسـتاذ عبـد العليـم إبراهيم في كتابه الموجه الفني قائلاً : وذلـك لأن القصـة تحمـل حركـة وحياة مثيرة انتباهاتهم وأفكارهم ومجدة نشاطاتهم وحيويتـهم ، وتمتـاز القصة بالوحدة الموضوعية ، والمبدأ والنهاية ، وهذه هي العوامـل الـتي تؤدي إلى تسلسل فكرتها وترابط أجزائها ، وتؤفر التسهيلات لتتبعها وتواترها بشكل كامل دون أن يشتت ذهنه أو يشرد فكره (١) .

بهذا يتجلى على رجال التربية والتعليم والمفكرين والداعـين أن القصة تلعب دوراً هاماً في التعبـير عـن الحيـاة بكاملـها ، ومعالجـة المشكلات الاجتماعية والنفسية ، وتثقيف النفوس وتـهذيب العقـول وتطهيرها وترقيتها ، وهي الحكاية الصادقـة البنـاءة عـن آمـال المجتمـع وآلامه وطموحاته السائدة فيه ، وأصبحت القصة مـن أهـم الوسـائل وأكبرها لنشر الأفكار والآراء العلمية والاجتماعية والدينية ، والمبـادئ الفكريـة ، وبـوادر اليقظـة الجديـدة في الأجيـال الحديثـة والمجتمعـات المعاصرة وهذا كله يوجد ويبدو بوضوح تام في القصص .

اتخذ الأستاذ علي الطنطاوي القصة وسيلة للإرشـاد والتوجيـه والتربية والمسامرة ، وعمـد بكتاباتـه إلى قيـم سـامية وأهـداف رفيعـة بأسلوب قصصي شيق متصل بـالملامح الفكريـة والتوعيـة ، ومـا أراد

بإطلاق الاسم على إنتاجاته بقصة أو مقالة قصصية ، فقد استهدف بكتاباته الأغراض التربوية والأهداف الدعوية ، بالرغم من أنه اشتهر وذاع صيته بعبقرية خارقة في معالجة الواقع الكائن أو ما يمكن وقوع مثله فنياً وحسياً (٢) .

وكان الطنطاوي يهتم في قصصه بالأمور الاجتماعية ، والأحداث الجارية ، والأحوال السائدة ، والأوضاع المقبلة ، واستعراض المدارك الفكرية بمعالجة جديدة : والتربية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي ، وخدمة الدين والوطن ، واستنهاض الهمم وإثارة العواطف والمشاعر ضد الاستعمار والاستبداد والدعوة إلى مواجهة التحديات من أجل تحرير البلاد من براثن الاستعمار على حد تعبيره : لديَّ أشياء ما بدَّلتها قط ، ولن أبدلها إن شاء الله ، وهي أني حاربت الاستعمار وأهله وأعوانه وعبيده دائماً ، وكنت مع الإسلام وقواعده وأخلاقه وآدابه دائماً (٣) .

وهذا هو الشيخ علي الطنطاوي الذي عزم على توظيف القصة فيما يعبر ويكتب ويدعو إليه للشريعة الإسلامية ، وتحريض المسلمين على الفضيلة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحث على الحرية والشورى والوحدة ، كي تسود المحبة والمؤاخاة العالمية و ونشر الأمن والسلامة في المجتمعات الحديثة والأمم المعاصرة إقليمياً وعالمياً (٤) .

كما عبر الدكتور سعد أبو رضا عن هذا التيار القصصي : "وهذا التوجه قد يدفعه إلى الخروج عن موضوعية القصة ، فينخرط في وصف ذاتي للقيمة الإسلامية ، وأثرها الفاعل في تقدم الحياة حياة الفرد والأمة ، وقد يزكي ذلك حسه الخطابي الواضح ، مما يهدد البناء الفني للقصة ذاتها في بعض الأحيان ، لكنه في كثير نتاجه القصصي

في هذا المجال لا تفتقد القصة لديه روحها القصصية ، بل قد تتجلى فيها الحبكة الفنية ، كما قد تتسق أجزاء الحدث مشكلة لبنائها ، والشيخ فيما يكتب يجعل القيمة الإسلامية والدعوة إليها هدفه الأساسي ، من ثم يأتي البناء الفني ثانياً في اهتمامه ، وقصصه تتميز بالحبكة والتشويق ودقة الإيقاع بينما بعضها الآخر قد نفتقد فيه بعض هذه العناصر الفنية" (٥) .

معالجة الطنطاوي للأدب القصصي :

إن الأدب القصصي له دور كبير في الأدب الحديث ، ويتجلى تأثيره الفعال في نفوس القراء مما يعطي من فكر وعاطفة وتصوير وبيان ، وإعطاء الكلام صورة جمالية مؤثرة لدى الكتابة والقراءة والسمع وبالنظر إلى المقدرة والبراعة في كتابة القصة تتفاوت وتتنوع ، ولذا الأديب القصصي يعلو ويسمو شأنه في مجال القصص ويتنزل ويسقط سقوطاً بالغاً فيه (٦) .

إن الأستاذ الطنطاوي دائماً يحاول أن تكون أعماله القصصية القيمة بنت الواقع والخيال ، وأنها تأخذ الواقعية بحقيقتها الكاملة ولم تلتفت التفاتاً كثيراً إلى الخيال واتجاهاته العميقة ، فلننظر إلى ما أبدع الطنطاوي في وصف وادي العقيق في الحجاز وفق الواقع والخيال ، فيقول : "وجلست أحدق في ماء العقيق وأحن إلى أيامه الغرّ وماضيه الفخم ، وأفكر في حاضره الممض و واديه القاحل ، فأطيل التحديق ، وأمضي في التفكير حتى أذهل عن نفسي ، وأنسى مكاني ، فأرى صفحة الماء تضطرب وتهتز وتختلط فيها الأنوار ، وتمتزج فيها الأضواء كأنها هي سبيكة ذهب أو قطعة ياقوت ألقي عليها نور وهاج ثم أراها قد استقرت وسكنت فإذا العقيق غير العقيق وإذا هو غارق في العطر والنور ، وإذا من حوله العشرات من القصور تضيء كأنها الثريا في

السماء فتنعكس أنوارها في الماء فتتوارى النجوم استحياء، وتغض العين خجلاً، ثم تستتر ببراقع الغمام وتبكي، فيضحك العقيق لبكاء السماء، وتضحك الأرض لضحك العقيق (٧)، والمثال المزيج البديع للواقع والخيال بمناسبة الاحتفالات السورية؛ قال فيها الطنطاوي: "اسمعوا فهذه هي المدافع ترعد وتدوي وتزلزل الجوّ رَجَّةً واهتزازاً، انظروا فهذه هي الطائرات تحوم وتحمحم وتعلو وتنحط وتجيء وتذهب، ولكن لا تفزعوا فإنها لن تؤذيكم، إنها ليست مدافع الفرنسيين التي تدمر، ولا هي طائراتهم التي تصب الحمم، لقد ذهب الفرنسيون ولن يعودوا" (٨).

بل إنه جعل التوازن الشامل بين الواقع والخيال، فاحتل الواقع مكاناً رفيعاً ومستوى عالياً في قصصه، ومن حيث إن قصصه تظهر صورة بديعة من الروعة والجمال والتصوير ما يشعر الإنسان به حول العالم الساحر المبسوط من الدرر المنثورة والجوهرات النادرة، وقام الطنطاوي بتزيين القصص بمزيد من الألوان البهيجة تزيد وتنير البهاء، والجاذبية من النواحي كلها بصورة شاملة، وجعلته أديباً قصصياً إبداعياً في العالم (٩).

كما عبر الأستاذ سعود الصاعدي عن أدبه وخصائصه تعبيراً رائعاً: "إن أدب الطنطاوي يرتكز على محاور عدة جعلت منه أديباً محلقاً يرفرف في سماء الأدب العربي، وهذه المحاور لم تأت في أدب الشيخ الطنطاوي اعتباطاً، وإنما تعكس مقدرة الشيخ البيانية والأدبية والثقافية والتاريخية، كذلك والدينية" (١٠).

وأضاف قائلاً في مقالته عن محاور ستة بالتالي:

١- اللغة والأسلوب. ٢- الخيال المتزن.

٣- الحجج العقلية المقنعة والبراهين الدامغة.

٤- العاطفة الصادقة. ٥- الطرف الهادفة. ٦- الهدف.

ثم يقول عن أدواته الأدبية: "... هو أيضاً كاتب وروائي وقاص، يملك أدوات الأديب المكتمل غير أنه ليس بشاعر ولا فرق بينه وبين الشاعر إلا الوزن الذي هو العمود الفقري للشعر، وما عدا ذلك فكل ما عند الشاعر عنده، بل وأوضح بياناً، وأقوى لغةً" (١١).

ويبدو جلياً أن الأستاذ الطنطاوي لا يريد خلال كتاباته القصصية إلا تقديم النماذج والبطولات والحماسات الإسلامية، و تاريخ أمته الإسلامية، وسيرة رجالات الإسلام الذين عاشوا لدينهم، وأفنوا أعمارهم لخير أمتهم وخير البشرية كلها، والقيم الدينية، قولاً وفعلاً في وقت يحتاج فيه الأمة إلى هذه القيم وتلك الشخصيات كي تتقدم وتزدهر فشيدت الحضارة الإسلامية الفريدة التي لم تشهد الدنيا لها مثيلاً، وتشحذ عزائم أبناء الأمة لمستقبل مشرق وضيئ، إنما يريد من خلال القصص روحاً تسري في نفس القارئ، فتبعث فيه حياة جديدة، تستنهض همته، وتحرك مشاعره، وتنير طريقه وتأخذ بيده إلى العمل الجاد المثمر، حتى تستعيد أمتنا سالف مجدها وسابقة حضارتها كما عبر بنفسه عن الأدب وغايته: "تهذيب الطباع وصرف العواطف إلى الخير وتنبيه الضمائر الغافلة، ونفع الناس" (١٢).

كما قال الكاتب الكبير أنور الجندي عنه: "يمكن أن يكون أنها تمثل صورة حياة فكرية خصبة قوامها الإيمان بأمجاد الإسلام والعروبة ولغة الضاد، إيمان فيه حرارة وصدق وعاطفة، وقد استطاع علي الطنطاوي أن يجمع بين الأسلوب الحديث القائم على التحليل، وبين أمجاد الأمة العربية وكتابتها من جديد".

ومن ثم ذكر الأستاذ عن خصائصه قائلاً: "فعلي الطنطاوي قد أخذ كلمات من تاريخنا، فأصدر هذه القصص الرائعة التي تصور

أمجادنا، لكنه لم يقف عن هذا الحد بل نوع إنتاجه فكتب في كل فن من فنون النثر للأدب العربي: القصة والمقالة، وكتب في الوطنية والتاريخ والإصلاح الاجتماعي والنقد الأدبي والبحث الإسلامي والصور والخواطر والرحلات، وقد بلغ به إيمانه بأمجادنا التاريخية، إنه يرى لو كل كاتب استطاع أن يأخذ من تاريخنا على مقدار طاقته وعلى أسلوبه وطريقته ... لما نقص من كنوز تاريخنا شئ" (١٣).

إن الشيخ علي الطنطاوي لم يلتزم منهجاً خاصاً ومعيناً في رسم صوره القصصية، ولم يهتم بقواعد المذاهب وشروطها أيضاً، ولم يتبع ولم يرجع نفسه إلى أحد من رواد القصة ولم يرتبط ارتباطاً وصلة أدبية معه، وهو القصاص الحر الذي يفتخر بحريته، ويعتبر نفسه ويتمتع بقدرته الفائقة، وعبقريته الخارقة، فقد كان هدفه الوحيد أن يصل إلى نفس السامع أو القارئ، وأن يترك فيهما الأثر البالغ، إنه قد جمع فيها بين المذاهب والمناهج وخلط بينهما، وإنما يهتم بتسخير الكلمة لغايته للوصول إلى نفس الملتقى، وهذه هي الغاية التي تستهدف أن تمسّ أوتار القلب، وتخاطب العقل مع إثارة الأحاسيس والمشاعر من ناحية بصفة واضحة (١٤).

كما تتميز مقدرة الطنطاوي على التصوير واستحضار الصورة وتكوينها وإعطائها الشامل من الجمالية والإبداع قد جعلت المنهج الفني يقرب من المنهج النفسي حيث يظهر الاختلاط من الجانبين بالتكامل ويشهد المزيج عجيباً وبديعاً، هذه هي القدرة الإبداعية والموهبة الطبعية السامية، ليس هو المنهج النفسي وليس هو المنهج الفني (١٥).

كما عبر الكاتب نعيم حسن يافي أن الطنطاوي لم يقيّم التقييم المناسب، واعتبرت قصصه من ذلك النوع المسمى قصة الصورة،

اعتماداً على أنها تحاول تقديم شئ من الواقع بتفصيلاته، وقد تقدم مواقف من التاريخ أيضاً، و تعنى بتفصيلات هذه المواقف وقد دفع ذلك في مجموعتيه: "قصص من التاريخ" و "قصص من الحياة" من ثم يجب أن ينظر إلى نتاج الشيخ القصصي في سياقه التاريخي حتى يكون الحكم عليه أقرب إلى المعالجة الفنية منه إلى التأثرية (١٦).

ومع كل ما ذكرنا عن أدبه القصصي في التصوير ورسم الشخصيات والحوادث، عرض الأفكار والمشاعر، فإن حقيقة بارزة تظل برأسها وتنير وتشرق كالشمس في الهداية والقصص، وهي أن التقليد والتأنق جماع الصورة والتصوير ورسم الشخصيات والحوادث والترابط ومركز التعبير الفني فيها والسمة الغالبة عليها.

🕮 خصائص أسلوب الطنطاوي في كتابه القصص:

إن الأستاذ علي الطنطاوي يستمد الفكرة الجوهرية من التاريخ لكل قصة، لكنه يصوغها صياغة متينة رائعة كما تتجلى براعته الفائقة في اللغة العربية، يتصرف فيها تصرفاً إبداعياً جذاباً، وقادر على تطويعها وفقاً للمتطلبات الفنية القصصية من إثراء التشويق والمزيج الشامل من الخيال والتاريخ والتصوير ورسم الشخصيات والحوادث والانطلاق في الوصف والسرد بصفة خاصة (١٧).

كما عبر الدكتور يوسف القرضاوي عن أسلوبه وخصائصه بهذه العبارة الرشيقة: "وأسلوبه هو السهل الممتنع في صورة من أندر صوره في سهولته وسلاسته، وسلامته وبلاغته وسحره وحلاوته، ودقته المدهشة في التصوير والتعبير، وقدرته الفائقة على تيسير العسير، وتقريب البعيد، والوصول بالأفكار والمشاعر، والحقائق والمعارف، بطريقة بسيطة مفهومة محكمة محببة إلى الكبير والصغير والمرأة والرجل والمتعلم والعامي من مختلف طبقات الناس" (١٨).

ومن أهم خصائص أسلوبه الاستطراد، سواء كان ذلك في الكتابة أو الحديث، وأقرب إلى الشاعرية، والجمال، والشفافية، و التشويق، وقوة الإيحاء، والتوهج العاطفي من ناحية، وقوة تركيبه وتجانس مقاطعته، وهذا كله ما اعتبره الأعلام من النقد والأدب وعبّروه خير القاصين في الأدب العربي الحديث في نظرهم ورأيهم (١٩).

إن الطنطاوي قد استخدم في قصصه التجسيم معناه: إبراز المعنى في صورة حسية، والتشخيص معناه: بث الحياة والمشاعر الإنسانية على غير العاقل من حيوان ونبات وجماد، فنافلة القول أنه يريد بأن يلبس الأمور المعنوية لباساً حسياً، ويسبغ عليها صفة الجمادات، ومن التصوير التجسيمي والتشخيصي البديعان ما يوجدان في حديثه عن وصف مدينة دمشق في السرد: "وذهبت دمشق تبتغي أن تنثر على موكبه من أزهار الغوطة جنة الدنيا، فلم تجد في الغوطة زهرة واحدة، لقد صيرتها الحرب قاعاً صفصفاً فنثرت على موكبه أزهار القلوب: دموع الفرح وهتاف المحبة وتصفيق الإعجاب"، و "كانت دمشق يوم الجمعة صابرة تتجرع حزنها في صمت رهيب وسكون هائل فلم تحرك ساكناً، وما دمشق بالتي تعرف أنه المكلوم واستغاثة العاجز، و لكنها تعرف الصبر على ما لا يصبر عليه الدهر" (٢٠).

كما أنه قدم في العبارات المذكورة مثالاً فذاً عن التجسيم وكونت الدموع والهتاف والتصفيق جمادات مادية، ثم يقدم المثال الواضح عن تشخيص الجمادات في صورة الإحساس والمشاعر والعواصف بصفة بشرية، فمدينة دمشق تظهر مثل الإنسان يشعر الحزن ولا يحرك ساكناً وتعرف الصبر جيداً.

إن الصور الفنية القصصية عند الطنطاوي أكثرها اتصالاً

بالذهن وتأثيراً في النفس واستثارة للمشاعر، ولا سيما في الأمور والأحداث التي تتصل بالإسلام وعظمته وتاريخه مما ترك من الإنجازات والمفاخر، فنحن نتمكن كثيراً بالحواس الخمس كل ما كتب في قصصه، والمزايا كلها اشتملت على لوحة شاملة امتزج فيها الشعور بالعاطفة وبالفكر (٢١)، يريد الطنطاوي أن ينقل إلينا التصوير والتعبير بالأشياء والمشاهد كما هو يحس ويعرف ببراعة، ويقدم إحساساته النفسية الذاتية والعامة والفردية والجماعية والشخصية بتجربة واسعة، كما عبر عن وصفها حينما دخل الحمام بعد سفر طويل مرهق بالسيارة إلى الحجاز: "فدخلت فإذا أنا في حمام، ما ظننت أني ألقى مثله في دمشق، له ظاهر وباطن، وفيه الماء البارد والحار والرشاش "الدوشة" والمناشف معلقة، والصابون مهيأ، فدهشت وفرحت فرحاً ما أفرح مثله لو أعطيت مائة دينار، مع أني لم أرها قط ولم تحتوها يدي إلى الساعة التي أكتب فيها هذه الكلمة"، "وأقبلت أصب على جسمي من الماء الحار فأحس له بعد هذا التعب بما تحس الأرض اليابسة إذا هطل عليها المطر، حتى إذا انتهى عدت إلى أصحابي بوجه متورد وثياب نظيفة فجن جنونهم عجباً ودهشةً" (٢٢).

وقد يقدم المنهج النفسي بالمنهج الفني، ويصور خلجات النفس وعواطفها في إطار واقعي بسيط، حيث إنه يتسم بالجمال والتعبير اللائق وبكلمات مؤدية إلى تشكيل كل جملة بالصورة نفسها ولكنها تبدو لوحة واحدة رائعة مؤثرة كالتالي: "حتى إذا نزلت السيارة جلسوا على الأرض وقد طحن الجهد أجسامهم وملأ اليأس نفوسهم وانقطع أملهم من كل شئ إلا من الله، وضل من يدعون إلا إياه، فأقبلوا على الله بالدعاء والاستغفار، وذاقوا من حلاوة الإيمان وبرد اليقين ما اطمأنت به نفوسهم وارتاحت له ضمائرهم" (٢٣).

إنه أدرك قيمة الحركة في التصوير والوصف والسرد، والبعد عن الجمود، فالصورة المتحركة أكثر تأثيراً في النفس وأبلغ وصولاً إلى القلوب كما أنه أدرك قيمة الألوان القصصية فيها، فقد كان يعطي التصوير والتعبير والوصف ما يناسبه من الألوان مع الفكرة والموقف ، لأن التصوير الملون يلتفت حوله الروعة والجمال (٢٤).

التلوين عند الطنطاوي كثير ويتنوع مع الموضوع، وخاصة فيما يكتب عن شئ يحبه ويؤثر في نفسه، وشوهد ذلك التلوين الرائع في الصورة التالية: "والأشجار على ضفاف الأنهار كلها، والشلالات تنحدر من الأعلى إلى الأدنى تتكسر على الصخور و تنحط، تخالطها أشعة الشمس فيكون لها بريق ولمعان كلمعان الألماس ، وأين منها لمعان الألماس ؟! وعن شمائلنا الفضاء الرحب تملؤه الغوطة كبحر ما له آخر أمواجه خضر" (٢٥)، و "هنالك تحت هذه السقوف التي تظهر خاشعة في ضباب الصباح و وهج الظهيرة و ظلمة الليل" (٢٦).

كما كتب العقاد عن أسلوبه قائلاً: "إن أداة البيان قد تمت له لفظاً وحساً، كما تمت له بداهة ومعنى"، و "أنه أديب مطبوع، جعل من الأدب منزلة عالية في حياة الأمة؛ و أوضح سبيله، وخاض غماره" (٢٧).

إن الطنطاوي يستخدم بلاغة الالتفات بالرجوع من الغيبة إلى المشهد، ويستهدف التفنن في الكلام، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب لتنشيط السامع والقارئ، وإيقاظاً للاستماع إليه (٢٨)، فلننقل وصفاً رائعاً متسماً بالالتفات والتحليق والتلميح البياني؛ فيقول في دمشق وآثارها التاريخية: "والبساتين التي يضل فيها النظر سكران من الفنون، وهذى القباب، والمسجد الذي

تكسّرت على جدرانه أمواج القرون وهو قائم، وارتدت عنه العصور وهو شامخ، يروى لأبناء الأرض تاريخ الأرض، منذ أن كان معبداً وثنياً إلى أن صار كنيسة نصرانية، إلى أن غدا جامعاً إسلامياً.

وهذا الجبل الذي يفتر أبداً عن مثل ابتسامة الأمل في وجوه المطالب ..! لن تلقوا بعدها مدينة مثلها: ثيابها زهر، ونسيمها عطر، وحديثها شعر، وجمالها سحر ..! إنها أقدم مدن الأرض العامرات، ماتت أخواتها من دهور سالفة" (٢٩)، كما يوجد التنويع في المزاوجة بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية، وكذلك بين الجمل القصيرة والجمل الطويلة (٣٠).

حيث إن الأستاذ يكثر أحياناً توجيه الخطاب إلى المشهد التفاتاً كاملاً بالأسلوب المنمق، وإيحاء قوي مؤثر، مع إطالة حبل الحديث، والتكرار المعنوي مستهدفاً أن يكون ما تشتهي الأنفس و ما تلذ الأعين، إني اخترت هذه السطور نموذجاً: "... أهاج ذلك عاطفتك يا لبنان ؟ أحرّك قلبك كل ذلك أيها الجبل التياه ...؟ وأنت أيها البحر الرقيق السيال؛ هل أنت أرضى شعوراً وأرق عاطفة ؟ أيحزنك منظر البؤس الشقاء، وأنت تلتهم الأحياء" (٣١).

والشئ الذي يمتاز به الأستاذ الطنطاوي في أسلوبه أنه يقدم العلم (أي المعلومات) في صورة أدبية فيمكن أن نسمي هذه الطريقة تأديب العلم كما كتب الأستاذ أنوار الجندي عن الطنطاوي تحت عنوان: "تأديب التاريخ" لأنه يبين في قالب أدبي (٣٢).

وأنا من حيث الباحث أجده متفوقاً ومبدعاً وآفاقي الفكر والفن بين الأدباء الكبار وعباقرة العلم والأدب والنقد كلهم، وفي الفن القصصي بصفة خاصة أنه يجعل الفن للحياة، وفي تصوير الإسلام وعظمته وتاريخه، والحماسة والبطولة والتذكير بالأمجاد والمآثر

والإنجازات المفقودة ، ولا نجد هذا الأسلوب عند طه حسين ولا نجيب محفوظ ولا إحسان عبد القدوس ولا غيرهم من كبار الكتّاب والأدباء والقصّاصين .

***

المراجع والهوامش :

(١) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية - للأستاذ عبد العليم إبراهيم ، الطبعة الثالثة عشرة ، بدار المعارف بمصر : ص/٣٧١ .

(٢) قصص من الحياة - للشيخ علي الطنطاوي (دار المنارة بجدة السعودية ، ط/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) : ص/٢٢٢ .

(٣) من حديث النفس - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٧ (دار المنارة بجدة ، ط/٢ ، ١٩٩١م) ، ذكريات : ج/١ ، ص/٢٠٦ .

(٤) في سبيل الإصلاح - للشيخ علي الطنطاوي : ص/١٧-١٨ ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٠م .

(٥) مجلة رابطة الأدب الإسلامي : ج/٩ ، ع/٢٣ ، سنة ٢٠٠٢م ، والشرق الأوسط : ع/٧٦١٠ ، ١٤٢٠/٣/٢٠هـ .

(٦) تاريخ الأدب العربي - لحنا الفاخوري : ص/٧٢٢-٧٢٥ ، (الطبعة السادسة للمطبعة البوليسية بيروت لبنان) .

(٧) من نفحات الحرم - للشيخ علي الطنطاوي : ص/١٠٩ (دار المنارة بجدة ، الطبعة الأولى - ١٩٨٠م) .

(٨) دمشق - للشيخ علي الطنطاوي : ص/١٢٩ (دار المنارة بجدة ، الطبعة الأولى - ١٩٥٩م) ، قصص من التاريخ : ص/٣٧ ، ٥٣ ، ١٢٨ (دار المنارة بجدة ، ط/٦ ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

(٩) قصص من الحياة - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٢٢٢ (دار المنارة بجدة ، ط/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) . (١٠-١١) ملحق الأربعاء : ص/١٨ ، ١٤١٩/٢/٢٨هـ .

(١٢) مجلة الرسالة كان يصدرها حسن الزيات : ص/١٩٩ ، العدد/١٣٥٠ .

(١٣) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام - لأنور الجندي : ص/٧٥٦-٧٥٩ (سنة ١٩٦١م - القاهرة) .

(١٤) رجل من التاريخ - للشيخ علي الطنطاوي : ص/١٦٧ (دار المنارة بجدة ، الطبعة ١٩٨٦م) .

(١٥) الباب الذي لا يغلق في وجه السائل - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٥-١٥ (دار المنارة بجدة - ١٩٩٧م) .

(١٦) قصص من التاريخ - للشيخ علي الطنطاوي : ص/١٠ (دار المنارة بجدة ، ط/٦ ، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

(١٧) التطور الفني لشكل القصة السورية القصيرة مقال بمجلة الآداب بيروت ، ع/٥ ، ص/٤٤-٤٦ ، سنة ١٩٦٥م . (١٨) الشرق الأوسط - ١٤٢٠/٣/٢٠هـ .

(١٩) ذكريات - للشيخ علي الطنطاوي : ج/٢ ، ص/٧ ، قصص من التاريخ : ص/٣٢ ، ٣٥ ، ٦٤-٦٥ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ .. وغيرها .

(٢٠) دمشق - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٦١ ، علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقيه الأدباء - لمجاهد مأمون ديرانية : ص/٨٣ وما بعدها (دار القلم بدمشق ، الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م) .

(٢١) قصص من التاريخ - للشيخ علي الطنطاوي ، على سبيل المثال : ص/١٢٧ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧١ . (٢٢) من نفحات الحرم - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٦٥ .

(٢٣) المرجع السابق : ص/٧٧ .

(٢٤) قصص من الحياة : للشيخ علي الطنطاوي : ص/٢٢٣ (دار المنارة بجدة ، ط/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) . (٢٥) دمشق - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٤٤ .

(٢٦) من نفحات الحرم - للشيخ علي الطنطاوي : ص/٤٧ .

(٢٧) مجلة الأدب الإسلامي : ج/٩ ، ع/٣٤-٣٥ ، مجلة الرسالة : ع/٣٤٣ ، ١٩٤٠م .

(٢٨) معجم البلاغة العربية - لبدوي طبانة : ص/٦١٤-٦١٥ .

(٢٩) ذكريات - للشيخ علي الطنطاوي : ج/٢ ، ص/٤١-٤٢ ، ٤٦-٤٧ .

(٣٠) المرجع السابق : ج/٢ ، ص/٢٦٣ . (٣١) المرجع السابق : ج/٣ ، ص/٢١٠ .

(٣٢) المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام : ص/٧٥٦ .

دراسات و أبحاث :

مساهمة الشيخ محمد طاهر الفتني في نشر الحديث النبوي بربوع الهند

بقلم : أ.د/محمد اجتباء الندوي
(عضو مجلس الأمناء لرابطة الأدب الإسلامي العالمية)

عرفت كُجرات (غجرات) بتاريخها العريق وإنتاجها الثري ، وترابها الخصب ، وهوائها النقي ، ومائها العذب ، وتلالها العالية الخضراء وموانئ بحرها المريحة السهلة ، ارتبطت بالعالم الآخر قبل أيّ ولاية من ولايات الهند ، فقد عرفت من أقدم العصور بشواطئها وأسواقها ومحلات تجارتها ، ذكرها السُيّاح العرب والمؤرخون والجغرافيون قبل أن تصلها القوافل العربية أمثال أبي ريحان البيروني والإدريسي والمسعودي ، وسجل المسعودي عام ٣٤٦هـ (٩٥٧م) في كتابه : (مروج الذهب ومعادن الجوهر) كلمة جميلة لسلوك ملك غجرات "بلهرا" مع الوافدين إلى بلده ، فقد عاملهم معاملة حسنة ورحب بهم وأكرمهم ويسّرلهم طرق الحياة فيها ، فقد كانت هذه الأرْيحية والسلوك الحسن مع شعبها والشعوب الأخرى سائلة على العصور والأزمنة ، فعاش الناس فيها عيشة مطمئنة رغيدة تحت ظلال الأمن والسلام والوفاق والوئام ، وأظل عليها زمن أمسك زمام أمرها المسلمون فازدادت بهاءً وجمالاً ، ونهضة ونمواً في كل ميدان من ميادين الحياة ، من العلم والأدب والمدنية والحضارة والبناء والشموخ ، يقول المؤرخ غوستاف لوبون :

"وغجرات من أمدن بلاد الهند ، ومدينة أحمدآباد التي هي قاعدتها زاهرة ذات جد ، وعمل وتجارة رابحة ، وليست مرافي كاتهياوار بمجهولة لدى سفن العالم ..." (حضارة الهند : ص/٧) .

وذكرها الملك المغولي العظيم أورنغ زيب عالمغير : "بأنها جمل الهند وزينتها ، وموطن رجال الفن وموئل أهل الصناعة" .

ويقول الدكتور خليق أحمد النظامي : "إن خدمات غجرات ونشاطاتها الحضارية طويلة متواصلة ممتدة الأطراف بحيث لا يضاهيها ولاية أخرى من ولايات الهند" (تقديم تاريخ غجرات : ص/١٣) .

وتحدث العلامة المؤرخ الجليل الشيخ عبد الحي الحسني الذي دبجت ريشة قلمه تاريخ غجرات (ذكرى أيام) وهو في كتاب صغير بالحجم وكبير بالمعنى والإعجاز والبيان ، يقول في كتاب له آخر عن الهند :

"وأما جمل شئون هذا الإقليم ففيه مواضع معتدلة الهواء ، والبحر ممتد مع أكثره ويحمل من سورت البطيخ الحلو ، والتفاح وغيرها وأقسام الرياحين ، وأنواع الثمار والبقول الكثيرة والعقاقير النافعة ، ومن أودية "كجهه" الأفراس الجياد حسان الصور ، معتدلة القامات ضخمة الجسوم ، سريعة السير ، ومن بعض المواضع البقر السمين الجيد الحسن اللون والنمور والفيلة ومن سروهي السيوف يحملونها إلى العراق وبلاد العرب ويضرب بها المثل ؛ قال كعب بن زهير: "مهنّد من سيوف الله مسلول" (الهند في العهد الإسلامي : ص/٧١).

وتغنى بها عدد من الشعراء العرب مثل أبي زبيد الطائي وحاتم الطائي وفضل بن عبد الصمد ، وهو يقول :

أنعمت قوساً ذي انتقاء
جاء بها جالب بروصا

ويقول :

من شفق خضر بروصيات
صغر اللحاء و الخلوقيات

وهناك قصائد وكلمات للأدباء والشعراء وفدوا إلى غجرات

أو أقاموا فيها أوزاروها في مناسبات عديدة متنوعة فتفتحت قرائحهم وأنشدوا روائع من الشعر وبدائع من القطعات الأدبية في النثر، لا يسعني المجال هنا بأن أسجلها، هذا، وقد ازدهرت كجرات وأثمرت وأينعت وتوسع نطاق التصدير والاستثمار إلى خارج الولاية بل إلى خارج بلادنا الهند بواسطة السفن الشراعية الكبيرة من مرافي غجرات البحرية أيام الملوك السبعة من دولة غجرات المستقلة بداية من الملك ظفر خان.

ونهاية بالسلطان محمود الثاني من سنة ٨١٠-٩٨٠هـ فقد حكمها هؤلآء السلاطين الأكفاء البررة نحو مائة وثمانين عاماً فبلغت مبلغاً من الكمال في هذا العهد لم تبلغ ولاية في الهند تطوراً وتقدماً وتنمية سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وحضارياً وثقافة ومدنية كما يقول العلامة الشيخ الحسني: ونشأت علوم لا علم بها للأولين وفنون وأساليب في الحضارة والحكم والفن لا عهد بها في الماضي، وانتشرت التجارة وازدهرت الزراعة، فكأنما ولدت هذه البلاد في عهد الإسلام ميلاداً جديداً ولبست ثوباً قشيباً (الهند في العهد الإسلامي: ص/٣٠٢).

وازدانت غجرات بالعلوم والفنون والآداب والمدارس، والزوايا والتكايا منذ العصور الأولى وعهود السلاطين، فقد وفد إليها من بلاد العرب والفرس العلماء والحكماء والمحدثون وأصحاب الطرق الجشتية والنقشبندية والسهروردية والعيدروسية والمجددية، وقاموا بخدمات جليلة في هذه الولاية الثرية الغنية.

والواقع الذي لا يرد ولا يرفض بأن علم الحديث النبوي الكريم استأنست به غجرات قبل أي ولاية وبلد في الهند، فقد ذكر المؤرخون أنه منذ خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ لفتت غجرات أنظار القوافل الأولى من المسلمين اتجهت إلى الهند عن طريق البصرة

والبحرين وعمان وأول أرض وطأتها أقدامهم "بروص" و "ديبل" وهما من ولاية غجرات ربما يكون فيها صحابي، ومما لا يشك فيه أنه رافقها كبار التابعين حملوا حديث الرسول الكريم ﷺ ونشروه في هذه المنطقة، ومن ثم انتشر في المناطق الأخرى، وفي العاصمة دلهي قام بخدمته الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي، ولكن أول من صنف في الحديث هو: أبو بكر ربيع بن صبيح السعدي البصري، كان تابعياً جاء إلى غجرات عام ١٥٩هـ وأقام فيها ودرس ونشر، وتوفي ودفن فيها (كشف الظنون: ص/١٦٠)، وبرز في هذه الولاية في علم الحديث أكثر من خمسين محدثاً، اشتغلوا بنشر الحديث تدريساً وتأليفاً.

ومن أعلامهم: الشيخ غوث الدين البغدادي الغجراتي (٨٩٥هـ)، ومحمد بن أبي بكر الدماميني المحدث، الشيخ المحدث أحمد ابن محمد النهرواني (٩٤٩هـ)، الشيخ المحدث عبد المعطى بن باكثير المكي ثم الأحمدآبادي (٩٩٨هـ)، والشيخ العالم الكبير المحدث اللغوي العلامة مجد الدين محمد بن طاهر الفتني؛ صاحب مجمع بحار الأنوار في غريب الحديث (٩٨٠هـ)، وسنتحدث عنه بهذه المناسبة، وهو حديثنا اليوم.

سعدت بزيارة "فتن" التي كانت تسمى نهروالة قديماً في آذار (مارس) ١٩٩٩م مع الأستاذين الكبيرين فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي؛ رئيس ندوة العلماء الحالي، وفضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي؛ معتمد التعليم بدار العلوم ندوة العلماء بالهند، وكانت هذه الرحلة الميمونة مفيدة وممتعة جداً، وكانت الرحلة بأمر من سماحة شيخنا أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله، وبإشارة من السري الفاضل الشيخ محمد نور ولي رحمه الله الذي استوطن الحجاز، وهو كان ينتمي إلى هذه البلدة "فتن" وهو الذي كان قد طبع كتاب الشيخ محمد طاهر "مجمع بحار الأنوار" الطبعة

الأخيرة على نفقته ، كان قد أراد بأن يقدم فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني ، تقريراً عن المدرسة الإسلامية القديمة في "فتن" ليقدم لها مساعدات مالية ومعنوية .

وصلنا إلى أحمدآباد ومن هناك ذهبنا إليها بالسيارة ، وأقمنا فيها ورحب بنا الإخوة القاطنون فيها أحر ترحيب ، وتذكرت فيها الشيخ عبد القادر الفتني الندوي ؛ أستاذ دار العلوم لندوة العلماء ، وهو من أعز تلاميذي وأحبهم ، وهو عالم جليل ذو مواهب وقدرات علمية متميزة ، سألت عن داره العامرة فدلوني عليها وهي بجوار المسجد بالبلدة القديمة كان في دار العلوم لندوة العلماء ولم يكن يعلم عن زيارتنا هذه .

بلدة "فتن" بلدة عريقة قديمة لها تاريخ مجيد ، فقد كانت عاصمة لحكومة الملك "بهيم" وكانت تسمى "انهلواره" وسماها العرب "نهرواله" واستبدلت فيما بعد باسم "بتن" ينطق بالعربية "فتن" دخلنا البلدة من بوابة كبيرة ترتبط بسور قديم طبقاً للمدن والعواصم القديمة في العالم .

وفيها آثار تاريخية تشير إلى قدمها ، واندرس بعضها ، كانت للقصور والمحلات التاريخية وكذلك آثار للمساجد والمدارس والمقابر زرناها ، وبلغنا إلى قبر قيل لنا : إنه قبر المحدث الكبير الشيخ محمد طاهر الفتني ، وزرنا المدرسة العربية الإسلامية التي جئنا لزيارتها وهي قديمة جداً ، ثم جددها الإمبراطور أورنغ زيب عالمغير ، آثار بناءه لا تزال تشهد بعنايته واهتمامه ، والمدرسة لا تزال تؤدي واجبها نحو التعليم والتربية عقدت حفلة كبيرة حضرها طلاب وأساتذة ألقيت فيها كلمات بلغتين العربية والأردية ، ثم قام فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بكلمة توجيهية رشيدة ، والمدرسة مستواها جيد ، ومراحل تدريسها متكاملة ، ولها أقسام داخلية مريحة في المبنى القديم

والحديث ، مع جميع ما يلزم للطلاب من المرافق والحاجيات ، ولها وبجوارها أراضي الوقف الشاسعة ، لو استغلت لأعمال الخير والمدرسة وصلاح الشعب والأمة لأغنتهم ، وعادت بخير كبير .

رأينا خارج البلدة مدينة أثرية قديمة لبعض ملوك الهندوس ، شيد قصر كبير تحت الأرض نزلنا فيه بأدراج قديمة فشاهدنا غرفاً وقاعات وحمامات ومرافق متوافرة ، لكنها خاوية تدل على أيام عاش فيها أناس ثم تركوها وراحوا ، وهذا ما يشير إليها الكتاب الرباني : ﴿ تِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ .

هذه هي بلدة "فتن" التي ولد فيها صاحبنا الشيخ المحدث الكبير مجد الدين محمد بن طاهر الفتني الكجراتي الذي يعتز به تاريخ الحديث في الهند ، ويفتخر به طلبة العلم والبحث والدراسة والتحقيق ، ولد في سنة تسعمائة وثلاث عشرة من الهجرة ، ونشأ فيها وترعرع ، وحفظ القرآن الكريم وهو لم يبلغ الحلم ، وقرأ العلوم العربية والإسلامية على أساتذة البلدة أمثال الشيخ أستاذ الزمان ملا مهنة ، والشيخ الناكوري ، والشيخ برهان الدين السمهودي ، ومولانا يد الله السوهي وغيرهم ، ونبغ في هذه العلوم وبرع فيها وفاق على معاصريه ، وهو لم يتجاوز من عمره خمسة عشر عاماً ، وسافر إلى الحرمين الشريفين في تسعمائة وأربع وأربعين (٩٤٤هـ) فحج وزار وأقام فترة من الزمن يستفيد من علمائهما الأفاضل الشيوخ أبي الحسن البكري ، وأحمد بن حجر المكي ، وعلي بن عراق وعبيد الله السرهندي ، وعبد الله العيدروس ، ولازم الشيخ علي بن حسام الدين المتقي ، واستفاد منه أكثر ، وذكره في مقدمة كتابه القيم مجمع بحار الأنوار ، وعاد إلى غجرات مسقط رأسه واشتغل بالتدريس والتأليف ، وأعان طلبة العلم طيلة حياته ، وأشار إلى ذلك الشيخ عبد القادر الحضرمي في كتابه : "النور السافر" : "إنه كان على قدم من

الصلاح والورع والتبحر في العلم، قال: وبرع في فنون عديدة وفاق الأقران حتى لم يُعلم أن أحداً من عجرات بلغ مبلغه في فن الحديث".

وتحدث عنه العلامة المؤرخ الشيخ عبد الحي الحسني؛ فقال: "حتى منّ الله تعالى على الهند بإفاضة هذا العلم (الحديث) وذكر محدثين وردوا إلى عجرات ونشروا الحديث وعلومه، ثم قال:

"لا سيما الشيخ محمد بن طاهر المذكور المتوفى سنة ٩٨٦هـ، فإنه درس وخرّج وصنف كتباً عديدة في ذلك العلم الشريف، مجمع البحار في غريب الحديث، والمغني في أسماء الرجال، والتذكرة في الموضوعات، وكانت له يد جارحة ويُمنى عاملة في الحديث، ما نهض من الهند مثله في سعة المعلومات وبلوغ النظر، غير شيخه حسام الدين علي المتقي الغجراتي، ولكنه انقطع إلى الحجاز، وعمت فيوضه لأهل الحرمين الشريفين، والشيخ محمد بن طاهر أقام بالهند" (الثقافة الإسلامية في الهند: ص/١٣٧).

قرر الشيخ محمد طاهر بعد أن عاد من الحجاز مضطلعاً بفن الحديث متشبعاً بروح علم النبوة، أن يقيم في بلده ينشر الحديث، ويشتغل بتدريسه وتأليفه، فشمر عن ساق الجد وأنشأ حلقة أقبل إليها الطلاب، وكان قد ورث عن أبيه أموالاً طائلةً فبدأ ينفق على الطلبة المقيمين لديه، وكان يطلب من معلمي البلدة أن يختاروا له صبياناً أذكياء ذوي مواهب وقدرات وأشواق للعلم فيرسلوهم إليه فيسألهم ويفحصهم فحصاً جيداً، فإن كانوا أغنياء وأكفاء، يقول لهم: سيروا على خطاكم وأكملوا الدراسة، وإن كانوا فقراء وضعفاء، يقول لهم: أقيموا عندي: تعلموا واجتهدوا، فيرعاهم ويشرف على دراستهم، ويتحمل نفقاتهم مهما كلفت، كان هذا دأبه وطريقته في التعليم والتربية فتخرج في حلقته جماعة كثيرة من علماء ذوي فنون كثيرة متنوعة.

كان الشيخ هندي الأصل وغجراتي المولد والمنشأ، ترعرع بين أحضان أبوين غجراتيين، وما ذكر الأمير صديق حسن القنوجي في كتابه: إتحاف النبلاء بأنه كان صديقياً، رد عليه العلامة الشيخ عبد الحي الحسني؛ فقال:

"وكان رحمه الله من البوهرة المتوطنين بغجرات الذين أسلم أسلافهم على يد الشيخ علي الحيدري المدفون بكنباية، ومضى لإسلامهم نحو سبعمائة سنة، وعامتهم يكسبون المعاش بالتجارة وأنواع الحرف كما يدل عليه اسم البوهرة، وهي مشتقة من "بيوهار" في لغة أهل الهند؛ معناه: التجارة، وهم في العقائد على مذهب الشيعة الإسماعيلية، وبعضهم سنيون أرشدهم إلى طريق أهل السنة جعفر بن أبي جعفر الغجراتي، والشيخ محمد طاهر نفعنا الله ببركاته كان من أهل السنة والجماعة، ويقول أخيراً: كان هندي النجار، صرح بذلك في مبدأ كتابه: "تذكرة الموضوعات" (نزهة الخواطر: ج/٤، ص/٢٩٧).

ويذكر من أشهر مؤلفاته: تذكرة الموضوعات، والمغنى في أسماء الرجل، و مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، وهو كشرح للصحاح الستة.

وعرف به الشيخ واشتهر، وسنتحدث عنه قليلاً، وقد توفي الشيخ شهيداً في مدينة "أجين" في طريقه إلى السلطان المغولي بآغره، يستنجد به في قمع الفتنة المهدوية التي عاثت فساداً وشراً في غجرات، قتله مهدوي غدراً وغيلةً، عام ٩٨٦هـ، ونقل جثمانه إلى "فتن" ودفن فيها رحمه الله تعالى.

وكتابه: "مجمع بحار الأنوار" فهو أحسن كتاب ألف في غريب الحديث أجمع عليه علماء الحديث قديماً وحديثاً، وهو موسوعة في هذا الفن، لا يحتاج الدارس أن يراجع غيره بعد هذا الكتاب، فقد ذكر في

مقدمة الكتاب : "جاء جامعاً لما ألف قبله في غريب الحديث وزاد عليه أنه تعرض لما لم يتعرض له من صنف قبله إلا نادراً ، وهو خواص تراكيب الحديث ولطائفها والوجوه الغريبة فيها" (ج/١ ، ص/٤) .

من مميزات هذه الموسوعة بأنها تورد كلمات وألفاظاً وتشرحها شرحاً لم يلتفت إليه مؤلف آخر مثل ابنِ الأثير والإمام النووي وغيرها ، فيشرح المؤلف تلك الكلمات شرحاً وافياً ، نذكر على سبيل المثال كنماذج : "ويل للمتالين" فهو لا يقتصر على بيان معناه وحده مثل ابن الأثير بل يتجاوز ويبين السبب الداعي إلى إحباط عمل المتآلي ، وتأويل "فيأتيهم الله" يبين ويلقى أضواء ساطعة عليه ، وقل : "يظهر لهم" وألفاظ أخرى نحو : أبهر ، أجادب وأثمد ، وبرأ ، أخذ يشرحها شرحاً واضحاً بيّنا بحيث لم يترك جانباً من جوانبها ، ويطمئن منه القارئ والباحث ... إنه لمحة وجيزة ونظرة سريعة على أعظم محدث وأكبر مؤلف أنجبته ولاية غجرات ، وأغزر وأضخم كتاب قدمته ريشة قلم هذه الشخصية العظيمة النابغة ، وهي مفخرة غجرات ودرة تاج الهند ، تبقى خالدة خلود النبع المتدفق النقي العذب الصافي الطاهر ، جزاه الله أحسن الجزاء وأوفره ، وأمطر شآبيب رحمته ورضوانه على ضريحه .

(ملحوظة) كان يتمنى سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله أن يعاد طبع كتاب "مجمع بحار الأنوار" للمحدث الفتني ، فطلب من محدث الهند الكبير في القرن الثالث عشر الهجري العلامة المحدث حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله أن يشرف على عمل التحقيق لهذا الكتاب ويؤلف له مقدمة ضافية ، فاستجاب العلامة الأعظمي رحمه الله بهذا الطلب ، وقام بالتحقيق والتعليق وكتابة مقدمة عظيمة والإشراف على طبعه الجديد ، فطُبع في مطبعة ندوة العلماء في خمسة مجلدات . **(سعيد الأعظمي)**

(١) نزهة الخواطر - للعلامة الشيخ عبد الحي الحسني (دائرة المعارف - حيدرآباد).
(٢) الثقافة الإسلامية في الهند - للعلامة الشيخ عبد الحي الحسني (مجمع اللغة العربية - دمشق ، ط/٢) . (٣) مختصر تاريخ غجرات (ياد أيام) - للعلامة الشيخ عبد الحي الحسني (مجلس تحقيقات إسلام - لكناؤ) . (٤) أضواء على تاريخ الحركة العلمية - الشيخ عبد الله السورتي (ندوة العلماء - لكناؤ - الهند) .

من التاريخ الإسلامي :

الإمام أبو القاسم القشيري
حياته ، وتفسيره لطائف الإشارات
(٣)

بقلم : الدكتور محمد عارف الدين الفاروقي
(جامعة حيدرآباد - الهند)

تأليفاته وتصانيفه :

اشتغل الأستاذ بالتأليف والتصنيف منذ ريعان شبابه فأول كتاب ألفه التفسير الكبير وسماه :

١- التيسير في علم التفسير (مخطوطة) (٥٩) .

قال السبكي : إنه من أجود التفاسير وأوضحها (٦٠) ، توجد نسخة قديمة ناقصة لهذا التفسير في دار الكتب رامفور ، سنة الكتابة ٦٧٩هـ (٦١) .

٢- الرسالة القشيرية (طبعت مراراً في مصر) .

ذكر السبكي أن هذه هي الرسالة المشهورة المباركة التي قلما تكون في بيت كتبها الأستاذ للصوفية حزماً أن تضيع آداب الطريقة كما صرح بنفسه في مقدمتها :

"هذه الرسالة كتبها الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن

(٥٩) التبس صاحب كشف الظنون في معرفة اسم هذا التفسير وظن أنه لطائف الإشارات وذكر سنة تصنيفه قبل العشر وأربعمائة والصحيح أن لطائف الإشارات تفسير آخر صنفه الإمام في سنة ٤٣٤هـ ؛ كما ذكر بنفسه في مقدمته ، انظر كشف الظنون : ج/٥ ، ص/٣١٣. (٦٠) الرسالة القشيرية : ص/٢-٣.
(٦١) جولة علمية في مكتبات بتنه رامفور ولكناؤ - بقلم الشيخ سيد هاشم الندوي - مجلة معارف ، أكتوبر ١٩٢٩م .

هوازن القشيري إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ..... اعلموا رحمكم أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم" .

"حصلت الفترة في هذه الطريقة لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة ... وزال الورع وطوى بساطه واشتد الطمع وقوى رباطه وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ... اشفقت على القلوب أن تحسب هذا الأمر على هذه الجملة بني قواعده وعلى هذا النحو سار سلفه فعلقت هذه الرسالة إليكم" .

تتداول هذه الرسالة بين الأولياء والصلحاء في العرب والعجم وصارت بمثابة المرجع لتأليفاتهم ، وروايتها أيضاً كانت مسلسلة في القرن التاسع كما ذكر تغري (٨٧٤هـ) في تاريخه النجوم الزاهرة : ص/٢٥٠ .

"وقد روينا الرسالة عن حافظ العصر قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (٦٢) أنا أبو الحسن بن أبي المجد شفاها أنا أبو محمد القاسم بن مظفر بن عساكر إجازة إن لم يكن سماعاً أنا محمد بن علي قن محمود العسقلاني سماعاً أنا أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرية سماعاً أنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الكرماني أنا المؤلف رحمه الله" .

٣- التخبير في علم التذكير (٦٣) (مخطوطة) .

توجد نسخة خطية بالخط الكوفي في خزانة الكتب لمحمد

(٦٢) المتوفى سنة ٨٥٢هـ .

(٦٣) قد ذكر اسم هذا الكتاب في طبقات الشافعية والرسائل القشيرية التحبير في التكذير ، والصحيح كما أثبتناه .

باشا (٦٤) .

٤- آداب الصوفية . ٥- كتاب الجواهر .

٦- عيون الأجوبة في أصول الأسئلة .

٧- كتاب المناجاة .

٨- كتاب المنتقى في كتاب نكت أولى النهي .

٩- كتاب نحو القلوب الكبير .

١٠- كتاب نحو القلوب .

١١- كتاب الأربعين في الحديث (ذكره صاحب كشف الظنون: ج/١ ، ص/٢٣٧ .

١٢- كتاب السماع . ١٣- رسالة ترتيب السلوك .

١٤- شكاية أهل السنة بحكايتهم ما نالهم من المحنة .

حقق هذه الرسائل الدكتور محمد حسن وطبعت هذه الرسائل الثلاث بعنوان الرسائل القشيرية من المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية بباكستان .

١٥- كتاب المعراج : نسخة خطية محفوظة في خزانة الكتب خدا بخش "بتنه" أوراقها/٦٦ ، وسنة الكتابة ٨٨٠هـ .

١٦- أسرار القشيرية : ثلاث نسخ خطية في المكتبة المذكورة : (أ) أوراقها/ ١١٤ ، كتبت في سنة ٤٣٨هـ ، (ب) أوراقها/ ٢٣٦ ، كتبت في سنة ١٠٣٢هـ ، (ج) أوراقها/ ٣٠٦ ، كتبت في سنة ١١٣٥هـ .

١٧- رسالة في الحديث : رسالة صغيرة قديمة ، نسختها محفوظة في خزانة الكتب الآصفية ، جمع فيها جميع الأحاديث التي سمعها بسند متصل عن شيخه أبي علي الدقاق .

(٦٤) انظر فهرس مكتبة محمد باشا ، رقم/٧١١ .

١٨- كتاب سيرة المشايخ .
١٩- استفاضة المرادات .
٢٠- بلغة المقاصد في التصوف .
٢١- ناسخ الحديث ومنسوخه .
٢٢- حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح .
٢٣- منثور الخطاب في شهود الأسباب .
٢٤- الفصول في الأصول (مخزونة في دار الكتب الآصفية) .
٢٥- مجالس أبي علي الدقاق .
٢٦- التوحيد النبوي .
٢٧- اللمع في الاعتقاد .
٢٨- شرح الأسماء الحسنى .
٢٩- فتوى محررة في ذي القعدة سنة ٤٣٦هـ
٣٠- ديوان الشعر (٦٥) .

📖 ٣١- لطائف الإشارات :

هذا هو التفسير الإشاري الذي نحن بصدد البحث عنه .

قد صنفه القشيري هذا التفسير في سنة ٤٣٤هـ أي قبل تصنيف الرسالة ، وتوجد سبع نسخ خطية لهذا التفسير في خزائن الكتب والمكتبات فنذكر هذه النسخ مع ذكر المكتبة التي توجد فيها فيما يلي :

أ- نسخة كاملة محفوظة في أورينتل لايبريري (دار الكتب الآصفية سابقاً) هي في قطع متوسطة واضحة الخط ومكتوبة بخط نسخي معتاد ، أوراقها / ٣٢١ نسخها كاتب واحد في جزء واحد وليس عليها اسم ناسخها ولا البلد الذي كتبت فيه وسنة الكتابة أيضاً

(٦٥) انظر الرسائل القشيرية لرقم/١٨-٣٠ ، ص/٢٧ ، وكتاب أسماء المؤلفين - للبغدادي : ج/١ ، ص/٦٠٧ .

مفقودة ولكن تظهر من رسم الخط أنها كتبت في القرن الثامن .

ب- نسخة كاملة في جزئين ، محفوظة في مكتبة الجامعة العثمانية هما في قطع كبير جلي الخط ، أوراق الجزء الأول / ٢٢٥ ، والثاني / ١٩٧ ، نسخها عدة خطاط ، تصعب قرائتها سنة الكتابة مفقودة .

ج- نسخة كاملة في جزئين محفوظة في دار الكتب حبيب غنج عليكره ، هما في قطع كبير جلي الخط وأوراقها ملصقة بقرطاس شفاف لصيانتها فصارت صعبة القراءة ، نقلت عن النقل والجزء الأول تشتمل على ٢٥١/ورقاً ، والثاني على ٢٠٢/ورقاً ، سنة الكتابة ١٢٠٩هـ واسم الكاتب ظفر علي تلميذ شيخ مير لاهوري .

د- نسخة ناقصة الطرفين في جزئين محفوظة في دار الكتب مولانا آزاد (الجامعة الإسلامية عليكره) بداية الجزء الأول من ورق/١٤٩ ، كتبها عطاء الله بن مولانا خردك البوقلي في خط النسخ في سنة ٨٤٤هـ .

هـ- نسخة كاملة في مجلد واحد ، محفوظة في مكتبة زاوية بير محمد "أحمدآباد" ، كتبت في القرن العاشر (٦٦) ، وقد صرح في قائمة مكتبة "خدا بخش" زاوية "بتنه" بأنه توجد هناك نسخة من هذا التفسير وهو خطأ حيث توجد نسخة تفسير آخر لا صلة له بهذا التفسير .

(٦٦) انظر مجلة معارف ، أكتوبر ١٩٢٩م ، جولة علمية في مكتبات بتنه رامفور ولكناؤ - بقلم الشيخ سيد هاشم الندوي المرحوم ، عضو دائرة المعارف .

و- نسخة كاملة في دار الكتب يكي جامع (٦٧) ، رقم/١٠٧ .

ز- نسخة مخرمة ناقصة الآخر (من سورة الفاتحة إلى التكاثر) محفوظة في المكتبة "تونك" (راجستهان) على لوحها ختم شاه جهان السلطان المغول ، سنة الكتابة القرن الثامن .

القرآن الكريم والاحتياج إلى تفسيره :

إن القرآن الكريم نزل على نبينا عليه الصلاة والتسليم منجماً في نحو ثلاث وعشرين سنة بمكة المكرمة ثم بالمدينة المنورة ، وقد شغل المسلمون بالقرآن وفرغوا له ، فكان وعاءهم في المسجد ونظامهم في البيت ومنهاجهم في العمل ودستورهم في الحكومة ، وقد اعتني به ألوف من علماء الدين وأئمة المسلمين لتفسيره وتوضيح معانيه وبيان أسراره وكشف دقائقه ، واختلفت مناهجهم حسب ذوقهم وميولهم ومؤهلاتهم ، فمنهم من تصدى لحل لغة ، ومنهم من اعتني باستنباط أحكامه كما جعل بعضهم نصب عينيه شرح معانيه بالآثار والروايات .

إن القرآن الكريم قد اعتنى به ألوف من علماء الدين وأئمة المسلمين لتفسيره وتوضيح معانيه وبيان أسراره وكشف دقائقه .

اختلاف مناهج المفسرين :

ومن هنا اختلفت أصناف التفاسير ومناهج المفسرين ، فجماعة قصدوا تفسير القرآن بروايات وآثار مناسبة لآياته مرفوعة كانت أو موقوفة أو من أقوال التابعين وأخبار الإسرائيليين وهو التفسير بالرواية والمرجع في ذلك إلى كتب السنة والتاريخ والسير ونحو ذلك .

(٦٧) انظر فهرس مكتبة يكي جامع : ص/٧ نشرها ايد لمشدر ١٣٠٠هـ .

وجماعة قصدوا تأويل آيات الصفات والأسماء وتكلموا عن العقائد كما نجد هذا عند طائفة المتكلمين .

وقوم قصدوا آيات التشريع واستنبطوا منها أحكاماً فقهية ، وبينوا ترجيح بعض المجتهدات على بعض ، وهذه طريقة الفقهاء وأهل الخلاف من الأصوليين .

وجمع أوضحوا نحو القرآن ولغته وأوردوا شواهد الكلام العرب في كل باب موفورة تامة ، وهذا منصب النحاة اللغويين .

وقوم قصدوا بيان نكات المعاني والبيان و وجوه التحسين بقدر ما اتصل إليه قواهم البشرية وملكاتهم العلمية المتعلقة بفنون القرآن ، وهذه طريقة الأدباء .

ومنهم من يقصد روايات القرآن وقراءته المأثورة عن الثقات الضابطين ، وهذه طريقة القراء الحاذقين .

وقوم قصدوا بيان ما يشير إليه القرآن من المعاني والأسرار المتعلقة بعلم الحقيقة والسلوك بألطف مناسبة تلوح إليهم من علمهم العميق ، وهذا مسلك العارفين وهذا النوع من التفسير يعرف بالتفسير الإشاري ، وهو موضوع نحتاج لفهمه إلى دراسة علم الإحسان والسلوك كما شرحه أكابر الأمة وأئمة السلوك وهم يعتبرون هذا العلم زبد العلوم ، والعلم الأعلى ، وعلم العين .

ما هو علم السلوك :

قال المحقق الجليل حاجي خليفة في كشف الظنون :

"هو علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية ، وأما التعبير عن هذه الدرجات والمقامات كما هو فغير ممكن ، لأن العبارات إنما وضعت للمعاني التي وصل إليها فهم

أهل اللغات ، وأما المعاني التي لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته ؛ فضلاً عن قوى بدنه ، فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ ؛ فضلاً أن يعبر عنها بالألفاظ ، فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام ، والموهومات لا تدرك بالخياليات ، والتخيلات لا تدرك بالحواس ، كذلك ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين ، فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد في الأصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبيان ، فإنه طور وراء طور العقل" (٦٨) .

قال خاتمة الجمع النقشبندية خواجه عبيد الله السمرقندي :

"إن خلاصة العلوم المتداولة ثلاثة ؛ علم التفسير والحديث والفقه ، وزبدتها علم التصوف الذي عليه مدار التعرف ، وموضوع هذا العلم بحث الوجود" (٦٩) .

قال حجة الإسلام الغزالي في تأليفه جواهر القرآن :

"هذا العلم فوق علم الفقه والكلام وما قبله كما يظهر ، والعلم الأعلى الأشرف علم معرفة الله فإن سائر العلوم تراد له ومن أجله وهو لا يراد لغيره ، وطريق التدريج فيه الترقي من الأفعال إلى الصفات ثم من الصفات إلى الذات فهي ثلاث طبقات وأعلاها علم الذات ، ولا يحتملها أكثر الأفهام ولذلك قيل لهم : "تفكروا في خلق ولا تفكروا في ذات الله" (٧٠) .

(يتبع)

***

(٦٨) كشف الظنون : ج/٢ ، ص/٣٠٦ .

(٦٩) مجموعة الرسائل في وحدة الوجود : ص/٨٦ .

(٧٠) جواهر القرآن - للغزالي : ص/١٥ .

من التراث :

علم الطب والجراحة

بقلم : الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
(ص.ب ٨٠١٣ - بريد مساكن مدينة نصر - القاهرة)

يبين القرآن الكريم صوراً من أصول علم الطب ، ويظهر للعلماء العاملين أهمية هذا العلم بالنسبة للإنسان ، في كل عصر ، وزمان ، ومكان ، ويوضح للمفكرين طرق الوقاية ، ومضار الإسراف في الأكل والشرب ، وخطره على الصحة الإنسانية .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِيْ آدَمَ ! خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ * وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا * وَلاَ تُسْرِفُوْا * إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾ (الأعراف/٣١) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِيْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتاً * وَّمِنَ الشَّجَرِ * وَمِمَّا يَعْرِشُوْنَ * ثُمَّ كُلِيْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ * فَاسْلُكِيْ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً * يَخْرُجُ مِنْ بُطُوْنِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ * فِيْهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ * إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ﴾ (النحل/٦٧) .

وقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوْبَ * إِذْ نَادَى رَبَّهُ * أَنِّيْ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَّعَذَابٍ * أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَّارِدٌ وَّشَرَابٌ ﴾ (سورة ص/٤١-٤٢) .

فأنت ترى - أيها القارئ - أن الله سبحانه وتعالى نهي عن الإسراف في الأكل والشرب ، لأن ما فوق الطاقة الجسمية ضرر كبير ، وما فوق الطاقة الاقتصادية خطر عظيم ، وما فوق الحدود الشرعية حرام وهلاك.

وقد أرشد الله في سورة النحل إلى فوائد العسل الطبية ، وبين مدى قيمته في شفاء كثير من الأمراض .

أما آيات سورة ص فقد بينت : أن أيوب عليه السلام ابتلي بالأمراض والأوجاع ، وقد دعا الله أن يشفيه ويعافيه ، فاستجاب الله له .

ولكن استجابة الله لم تكن بشفائه مباشرة وإنما بعد ممارسة

الأسباب التي يكون فيها الشفاء ولهذا دله الله على الماء الذي يغتسل منه ، فيذهب كل ما علق بجلده من قروح .

ثم دله على ماء آخر يشرب منه فيتطهر ، وفي أحاديث الرسول الكريم ﷺ ورد الحث على التداوي والتطبيب ، روى أبو داؤد ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **"إن الله تعالى أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام"** .

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : **"ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء"** .

وروى مسلم عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **"أن لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى"** .

وروى أحمد عن أسامة بن شريك قال كنت عند النبي الكريم ﷺ وجاءت الأعراب ؛ فقالوا : يا رسول الله ! أنتداوى ؟

فقال : نعم ، يا عباد الله ! تداووا ، إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله .

يقول ابن القيم في كتابه : "زاد المعاد" بعد أن ذكر جملة من الأحاديث النبوية ؛ التي جاءت في **"الطب تضمنت هذه الأحاديث إثباتات الأسباب والمسببات ، وإبطال قول من أنكرها"** .

ويقول في موضع آخر من "زاد المعاد" : "الطبيب هو الذي يفرق ما يضر بالإنسان جمعه أو يجمع فيه ما يضره تفرقه ، أو ينقص منه ما يضره زيادته ، أو يزيد فيه ما يضره نقصه ، فيجلب الصحة المفقودة أو يحفظها بالشكل والشبه ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض ، ويخرجها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية" .

وكان المسلمون في الطب يعتمدون على معقولية الحقائق وامتحانها إما عن طريق المنطق وإما عن طريق تجربة الحقائق وامتحانها عملياً .

فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها ، ولكنهم يعنون بوضعها تحت قواعد المنطق ، وهل من قوانينه ما يؤيدها أو ما ينقضها.

وكذلك قد يمتحنون نتيجتها فيحكمون عليها بالخطأ أو الصواب .

وكان نشاط المسلمين في ذلك يسترعي الأنظار ، ويستخرج العجب ، وظل المسلمون طوال حياتهم العلمية في العهود الزاهرة ، يعيشون على هذه الثروة .

وبعد المنهج العلمي التجريبي الذي تدين له الحضارة الحديثة بما وصلت إليه من كشف واختراع ، بعد أن تبنته واعتمدته طريقاً للوصول إلى حقائق العلوم يعد هذا المنهج أحدث منجزات هذه الثقافة .

فقد كانت الثقافة القديمة ، وخاصة اليونانية التي احتك بها المسلمون أكثر من غيرها من الثقافات تجهل الطريقة التجريبية وتحتقرها ، ولا تعني إلا بالدراسات النظرية المجردة .

يقول عباس العقاد : لما تناول العرب الطب كانت هذه الصناعة في المرحلة بين تناسي النظريات القديمة ونشأة النظريات الحديثة ، ولم تكن العلوم في جملتها قد وصلت إلى الطور الذي يسمح بابتكار هذه النظريات ، أو ابتكار الجديد منها وتصرفوا في العلاج ؛ فلم يتقيدوا برأي جالينوس في علاج الحرارة بالبرودة ؛ والبرودة بالحرارة ، بل كان منهم من يعالج البرد بالبرد في بعض الحالات أو يجمع بين الحمية والتبريد والترطيب .

كما كان يفعل صاعد بن بشر ؛ رئيس المستشفى العضدي ببغداد ، وقد عرفوا العلاج بالعوض كما يؤخذ من كلامهم عن خصائص أعضاء الحيوان ، فإن الدميري صاحب كتاب : "الحيوان" يذكر من منافع رئة الثعلب مثلاً : أنها تداوى أمراض الصدر ، لأن هذا الحيوان لا يلهث إذا عدا .

ويذكر غير ذلك من خصائص أعضاء الحيوان وسبقوا الإفرنج إلى وصف الجذام وشرح مرضى الجدري والحصبة وعلاج أمراض العين .

وكان الأطباء المسلمون يعنون بفحص البول ، وجس النبض والاستدلال منهما على نوع المرض واستفاد الأطباء المسلمون من اليونان والفرس والهنود والكلدان واخترع بعضهم ما خالف به أطباء اليونان كمعالجتهم الفالج والاسترخاء بالأدوية الباردة بدل ما كان يستعمل عند اليونان من الأدوية الحارة ، واستخدم أطباء المسلمين المرقد "البنج" في الطب ، وتوسعوا في الكي ، واستعملوا الماء البارد في أحوال النزيف .

وكانوا أول من نظم الصيدلة وتوسع فيها واستجلبوا العقاقير من مختلف البلاد وأنشأوا الحوانيت لها .

وهذا ينبئ عن العناية الفائقة التي بذلها علماء الطب في الإسلام ، ولعل ذلك أحد الدلائل على عناية الثقافة الإسلامية بالإنسان ، ولقد كان للأطباء المسلمين الأثر البالغ على الدراسات الطبية وطريقة المعالجة في الغرب .

فقد ظلت مؤلفات الرازي وابن سينا وابن زهر ، أساس الدراسات الطبية في الجامعات الأوربية لقرون عديدة ، كما أن مؤلفات الرازي وخاصة كتاب : "الحاوي" نالت أوسع شهرة في أوربا حتى أن كتابه هذا كان أحد تسعة مجلدات تشكل مكتبة الهيئة الطبية في باريس ، وقد بين الرازي علاج بعض الحميات الطفحية كالجدري والحصبة ، واستحدث استعمال المسهلات الخفيفة والحجامة في حالات الشلل ، والماء البارد في حالات الحمى المستعصية .

أما ابن سينا ؛ فلا شك أنه كان أعظم طبيب عرفه المسلمون ، وقد استعمل كتابه : "القانون" في الطب كأساس لتدريس الطب في الجامعات الفرنسية والإيطالية طيلة ستة قرون كاملة .

أي من القرن الثاني عشر إلى القرن الثامن عشر ومما استحدثه في هذا الفن طريقته في علاج أمراض القلب ، ويعد من أهم ما أبدعه إيجاد طريقة العلاج النفسي بعد أن لاحظ أن كثيراً من الأمراض تعود أسبابها

إلى أوهام أو عقد نفسية ، فلفت النظر إلى علاجها بطريقة خاصة .

وكان للعلماء المسلمين القدح المعلى في حقل الجراحة ، فقد عرفوا التخدير إذ اخترعه أبو القاسم خلف بن عباس القرطبي ، واستعملوا المواد الكاوية ، و وضع الفتائل لإخراج الصديد ، وعالجوا أمراض البلورية في العين بإسقاط أو استئصال العدسة البلورية ، وابتدعوا قطعاً لتفتيت الحصاة في المثانة ، و وقف النزيف الدموي .

وكان علاء الدين بن النفيس القرشي من مشاهير أطباء المسلمين في القرن السابع الهجري ، إذ كان ابن النفيس يمثل مرحلة الأصالة والتجديد في الطب ، وله الفضل في الكشف عن عدد من الوظائف الجسمية .

وأهم ما يسجل لابن النفيس هو نظريته في الدورة الدموية ، وهذه النظرية مرت بمراحل متعددة ، فمن مرحلة الغموض إلى مرحلة تعتبر الكبد ؛ هو الأصل في الدم وحركته ، وتنظر إلى القلب على أنه لا قيمه له في حركة الدم إلى مرحلة جالينوس التي تابعه فيها ابن سينا ، والتي تميز بين حركة الأوردة والشرايين دون أن تدرك حقيقة ما يتم في القلب من تصفية الدم وتنقية .

حتى يجئ العلامة ابن النفيس ؛ فيبين في كتابه : "شرح التشريح" الدورة الدموية الكاملة ، ويوضح : أن القلب هو مركز حركة الدم ومكان تصفيته وأن الدم المصفي يعود ليتابع دورته في الجسم الإنساني حاملاً الغذاء والطاقة والحياة .

وهكذا نجح ابن النفيس في إثبات : أن الدم ليس سائلاً مستقراً في الأوردة والشرايين المبثوثة في الجسم ، بل هو سائل متحرك يدور في جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل أن يكتشف العالم البرتغالي "هارفيا" في أوربا الدورة الدموية بثلاثة قرون .

ولا يفوتنا : أن نذكر أن ابن زهر الأندلسي ؛ قد أدخل إلى علم

الطب قوانين الملاحظة العلمية ، وكشف عن قدرة الجسم البشري الطبيعية على إشفاء نفسه من أمراض معينة ؛ كما قدم طرقاً جديدةً في جراحة القصبة الهوائية ، ومعالجة الفك وكسور العظام .

واشتهر أبو القاسم القرطبي بالجراحة و وصف عملية سحق الحصاة في المثانة وإخراجها .

وابن رشد الفيلسوف الإسلامي الكبير ؛ قد قدم بحوثاً وافيةً عن الترياق والسموم والحميات ، وقد استفادت أوربا من ثقافة الإسلام العلمية .

وأجمع المؤرخون : أن أوربا مدينة للمسلمين بالشئ الكثير إذ حمل المسلمون مصباح العلم الأصيل في زمن كانت فيه أوربا غارقة في ظلمات الجهل .

ويقول العلامة دريبر المدرس بجامعة هارفارد بأمريكا : إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوربا وأمراؤها يفدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها ، وأول مدرسة أنشئت للطب في أوربا هي المدرسة التي أسسها العرب في "بالروم" من إيطاليا .

ويقول المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه : "حضارة العرب" : إن المستشفيات العربية كانت مكيفة من الناحية الصحية بشكل أرقي بكثير من مستشفيات اليوم ، وكانت ضخمة وكان الماء والهواء يوزعان على أقسام المستشفيات بسهولة .

وجاء في كتاب : "حاضر العالم الإسلامي" لشكيب أرسلان : أن مؤرخ الطب لوكلرك قال : إن من التراجم كان يوجدتسعون كتاباً مترجماً من العربية إلى اللاتينية في الطب منها أربعة تأليف لأبقراط وخمسة وعشرون لجالينوس والباقي لحكماء الإسلام كالرازي وأبو القاسم وابن سينا وابن زهر وكان "جيرارد كريمون" وهو أعظم المترجمين همة ومن

أذكي رجال القرون الوسطى قد أكمل في مدة خمسين سنة : ثلاثة وسبعين ترجمة أكثرها لكتب طبية .

ومن جملة هذه الكتب قانون ابن سينا الذي كان كافياً أن يشغل وحده حياة إنسان ، ومنها كتب أبو القاسم في الجراحة التي عملت في سير هذا الفن في أوربا إلى الأمام العمل الكبر .

ولعل القارئ المسلم .. يعرف أن كتاب القانون في الطب لابن سينا ، كان معول الغربيين في جامعاتهم حتى أنه طبع باللاتينية ستة عشر مرة في القرن الخامس عشر ، وعشرين مرة في القرن السادس عشر .

وقد خصصت جامعة برنستون الأمريكية أكبر جناح في أجمل بناء لعرض مآثر الطبيب المسلم أبي بكر الرازي الذي يعد أول واضع لعلم الطب التجريبي إذ كان يجرى التجارب على الحيوانات فيختبر تأثير الأدوية فيها .

وأبو بكر الرازي هو أول من وضع طريقة العلاج بالمشاهدة وذلك أنه كان يدع المريض يذكر القصة ، ثم يسأله عن أحواله مفصلة ، ثم يسأله عن إصاباته السابقة ويدون ذلك وعرف مرض الحصبة والجدري وأول من فكر في العلاج النفسي .

والطبيب المسلم أبو القاسم هو أول طبيب يأمر بسد الشرايين عند العمليات ، وأشار عند حصول الفساد المسمي بالغنغرينة بالقطع العاجل .

وقد انتشرت المستشفيات في العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاها وكان كبار الأطباء المسلمين يلقون في هذه المستشفيات محاضرات ودروساً على الطلبة الذين جاءوا لتعلم الطب ، وكان الأطباء يجرون لطلاب العلم امتحانات ويمنحون إجازات علمية .

وفي القاهرة بني السلطان قلاوون مستشفى المنصور ، وهو أضخم مستشفى في القرون الوسطى ، وكان به وقتئذ أقسام منفصلة للأمراض

المختلفة ، وأخرى للناقهين وبه معامل وعيادات خارجية ، وحمامات ، ومكتبة ، ومسجد ، ومطابخ لتقديم الغذاء للمرضى .

وكان المصابون بالأرق يرفه عنهم بالموسيقي الخفيفة أو برواية القصص ، وكان هناك مستشفيات للأمراض العقلية وعيادات خارجية كما كانت هناك مستشفيات متنقلة .

وقد استخدم المسلمون الأعشاب والنباتات في الطب ، وبرعوا في زراعة النباتات الطبية ، ولم يقف علماء الطب في الإسلام عند هذا الحد بل عكف الكثير منهم على تدوين العلوم الطبية .

وهناك مؤلفات إسلامية نالت شهرة عالمية مثل طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، والقانون في الطب لابن سينا والشامل في الطب ، والمهذب في الكحل ، والمختار في الأغذية ، وشرح مفردات القانون وتفاسير العلل وأسباب المرض ، وشرح تشريح القانون لابن النفيس الدمشقي والكليات في الطب لابن رشد .

والذي يقرأ كتاب : "الفهرست" لابن النديم ، يطالع أسماء عشرات الكتب في الطب والأطباء وهذا يفيد : أن المسلمين كانوا جادين في طلب العلم ، وإنهم كانوا علماء عاملين ، ويجب أن تعرف - يا أخي القارئ - أن لغة الطب والأطباء في المستشفيات والمحاضرات والدروس كانت هي اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، ولغة الثقافة الإسلامية .

ولعلك تدرك يا أخي : أن اللغة العربية أغنت كل الثقافات التي ترجمت إليها ولم يقل أحد أنها عجزت عن حمل هذه الثقافات الواسعة ، ولا تزال اللغة العربية قادرة على الاستيعاب والتحليق ، وقبول كل ما يترجم إليها .

ونأمل أن يزيدنا الوعي الثقافي إيماناً بقدرة لغتنا العربية على مواكبة العلم والتكنولوجيا .

***

صور و أوضاع :

هل يسيطر الاستعمار على العالم مرة أخرى

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

توجهت عناية قادة الدول التي تحررت من الاستعمار الغربي إلى نظام التعليم والتربية ، واعتبر هؤلآء القادة أن نظام التعليم والتربية الذي يسير على خطى النظام الغربي للتعليم ، هو المسئول الرئيسي عن القضايا الفكرية ، والانحرافات العقدية ، والمخالفات للقيم الخلقية ، لأنه يقوم على التصور المادي ، المغاير للدين والأخلاق الذي غلب في عهد النهضة في أوربا ، ولأن هذا النظام يشكل قناة لنقل الأفكار والاتجاهات ، والتجارب ، التي شهدتها أوربا بعد النهضة وإثر خروجها من عهد الظلام ، والشرق له ثقافة ومنهج للحياة يختلف عن منهج الحياة في الغرب ، فصاغت هذه الدول نظمها التعليمية والتربوية ، صياغة جديدة ، و وضعت دساتير تضمن لها الحرية والاستقلال ، وحاولت تطهير موادها التعليمية من رواسب الاستعمار ، فأنجبت هذه البلدان علماء بلحثين أوفياء للوطن من أصحاب الخبرات العلمية ، قاموا بتطوير بلدانهم ، فوقفت بلدانهم في مصاف الدول الكبرى ، واتخذت هذه البلدان وكانت الهند منها ، إجراءات لتنمية الكفاءات الفنية ، واتخذت تدابير لتشجيع الراغبين في العلم على تنمية قدراتهم .

وقد جعلت الهند نصب عينها في بداية الأمر بعد الاستقلال الاكتفاء الذاتي ، والاعتماد على الخبرة المحلية ، والاستغناء عن الخبرة الأجنبية ، وتنمية الصناعة المحلية ، واتخذت إجراءات للتقليل من الاستيراد ، ومنع المنتوجات الخارجية من دخول البلاد ، فقامت مصانع في

البلاد، وحققت البلاد الاكتفاء الذاتي في كثير من المجالات، وخاصة في التعليم والصناعة، فأصبحت الهند مرجعاً للدارسين الأجانب في الطب، والهندسة، والتكنولوجيا، ولا يزال يدرس في الجامعات الهندية عدد كبير من طلبة الدول الأجنبية، كما اختارت الهند الطابع الوطني في سائر مجالات الحياة، والاستغناء عن الطابع الأجنبي، وألزمت الزي الهندي في المدارس، والمكاتب الرسمية، والاحتفالات الرسمية، وأدخلت في المواد الدراسية المواد التي تنمي في الدارسين من العهد المبكر للتعليم الانتماء إلى الوطن، واحتقار الاستعمار، وحب الثقافة الهندية العريقة، واتخذت إجراءات لإحلال اللغة الهندية محل اللغة الإنجليزية في سائر مجالات الحياة.

ومثل ذلك توجهت عناية بعض الباحثين في العالم الإسلامي إلى تثبيت الذاتية الإسلامية، بإبدال هذا النظام، وإيجاد جسر بين النظام القديم والنظام المتوارث، والنظام الذي استورد من الغرب في أوائل القرن التاسع عشر، وأجريت تجارب للجمع بين النظامين، ثم توجهت العناية إلى أسلمة المعرفة، وهي تنقية المواد العلمية من العناصر التي كانت تحمل تلوثات مدوني هذه العلوم لنشأتهم في بيئة مغايرة للبيئة الإسلامية، وانتقلت هذه التلوثات إلى العلماء الذين نشأوا في المدارس الغربية، أو تتلمذوا على أساتذة الغرب، وعلى رأسهم المستشرقون، الذين لونوا العلوم الإسلامية بألوانهم، وسربوا فيها تصوراتهم، واستعيرت خدماتهم للتدريس والتربية في الجامعات ومراكز التعليم والتربية في عدد من الدول الإسلامية.

وقام عدد من العلماء بمحاولات قيمة لنقل هذه المواد إلى اللغات الإسلامية، أو الإنجليزية بعد تنقيتها من التلوثات، كما حاول المدرسون في الجامعات العصرية الذين كانوا يحملون خبرة فنية فائقة تعليم هذه العلوم بالنظرة الإسلامية، وكانت أذهانهم صافية نقية من التلوثات، لتأثرهم بالحركات الإسلامية، أو لاستفادتهم من الشخصيات العلمية التي كانت

تحمل اتجاهاً إسلامياً صحيحاً، فنشأت أجيال من أهل العلم والخبرة في أنحاء العالم الإسلامي، كانت لديهم قابلية لينافسوا أهل العلم والخبرة في الدول الأوربية، وبهذا الاتجاه الجديد دخل التصور الإسلامي في مراكز العلم الحديثة، وتأثر به الشباب المسلم المثقف بالثقافة الحديثة، الذي تزود بالعلم الحديث، لكن قلبه وفكره كان إسلامياً، وعاطفته كانت إسلامية.

لقد كان هذا العنصر قوام الحركة الإسلامية، لأنه كان على علم بالحركات، والاتجاهات التي نشأت وتطورت في العالم الغربي، وعرف محاسن الحضارة الغربية ومساويها، وعرف سلوك الدول الأوربية مع الدول الأخرى، ومخالفتها للقيم الإنسانية، واستغلالها للشعوب المقهورة، كان منهم عدد من المهندسين، والعلماء، والفلاسفة، والأدباء، والباحثين، في مختلف العلوم العصرية.

إن هذا الوعي الذاتي الذي بدأ ينمو في الطبقة التي كانت مسلحة بالعلم الحديث، والعاطفة الإسلامية شكلت في الواقع خطراً أكبر للمصالح الغربية، والاستعمارية، لأن سائر ثروات العالم الإسلامي كانت في أيدي خبراء الغرب، سواء كانوا ينتمون إلى الاتحاد السوفيتي في عهد غلبة الاشتراكية في العالم الإسلامي، أم كانوا ينتمون إلى العالم الرأسمالي المناوئ للاشتراكية، في أمريكا، أو أوربا، وكان الخطر في تطور هذا الشعور الذي بدأ ينمو وتتوسع دائرته في الشباب المسلمين، فبدأت أوربا تخشى أن هذه القوة الجديدة إذا سمح لها بالنمو والانتشار، فإنها ستصبح في مدة قليلة في موقف استعادة سيطرتها على الثروات والذخائر المتوفرة في العالم الإسلامي، وقد اعترف بذلك عدد من أصحاب الفكر والسياسة في الغرب.

وقد صعد هذا الشعور بهذا الخطر وجود عدد من علماء الذرة في بعض البلدان الإسلامية، الذين عكفوا على تنمية الطاقة النووية

واستخدامها لتطوير بلدانهم، واستطاع بعضهم إنجاز هذا العمل في بعض البلدان.

كان هذا الاتجاه خطراً كبيراً للمصالح الاستعمارية لأوربا، فاتخذت أوربا، وعلى رأسها أمريكا، أولاً الوسائل لتصفية هذه العناصر، في الدول الأوربية في مرحلة التعليم أو في المراحل العليا، وذلك عن طريق منظمات سرية قامت باغتيال عدد من العلماء، والفنيين، وعددهم ليس بقليل، أو توريط هذه العناصر في فضائح، أو توجيه تهم إليهم تشوه سمعتهم.

وقد بدأت الدول الاستعمارية في السابق جهودها لمنع تطوير البلدان الإسلامية فنياً وصناعياً، ومنع الجهود الفنية من أن تؤتي ثمارها، كان منها إحباط المحاولات لفتح مصانع كبيرة، ونقل أصحاب الخبرة الفنية إلى خارج العالم الإسلامي، واصطياد من لم يقبل سيادة الغرب وهيمنته.

فمر كثير منهم بمحن في بلدانهم عاقت سبيل إكمال أهدافهم، أو تجاربهم العلمية للسياسات المعاندة والمناوئة للنظم السياسية التي كانت موالية للدول الاستعمارية، ومنفذة لمخططاتها، التي كانت تهدف إلى إحباط جهود الاكتفاء الذاتي، فاضطرت الظروف السياسية القاهرة العقول الإسلامية إلى الانتقال إلى بلدان غير إسلامية.

لقد كانت السياسة الاستبدادية في كثير من الدول الإسلامية سبباً كبيراً لهجرة العقول الإسلامية إلى الدول غير الإسلامية، وبذلك حرمت هذه الدول الخبرات المحلية، فاضطرت إلى استيراد الخبرة الأجنبية.

كان موقف هذه الحكومات المغاير مع أصحاب الخبرات الفنية والعلمية الوفية للوطن الإسلامي المنسجمة مع طبيعة الحياة سبباً مباشراً لتشرد أهل الصلاحيات العلمية، وقد كان من حق هؤلاء العلماء أن ينالوا تشجيعاً، ودعماً لإجراء بحوثهم وتجاربهم، في أوطانهم، وإقامة صرح علمي متطور، يستجيب لمتطلبات البلاد، وشعوبها، وتراعي مصالح البلاد.

إصدارات جديدة :

محمد إقبال : وموقفه من الحضارة الغربية

قلم التحرير

أهدى إلينا هذا الكتاب القيم - الدكتور خليل عبد الرحمن راز، والكتاب دراسة موسعة عن فكر إقبال وشخصيته، ومدرسته الشعرية تجاه الحضارة الغربية بوجه خاص، وإنه يفي بحاجة العالم العربي نحو معرفة كلام هذا الشاعر المؤمن الذي جرب الحياة في العالم الغربي ورأها عن كثب، بحكم إقامته في أوربا، وقد ألفت كتب عديدة حول شخصية إقبال بلغات متعددة، فقد كان مفكر الإسلام سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي معجباً بفكره وشخصيته، تحدث عنهما في كتابه : "روائع إقبال" ورغم أن إقبال عاش في الغرب إلى مدة طويلة، ولكنه كان رائد الفكر الإسلامي، ومعروفاً بحبه للإسلام و وفائه بمحمد خاتم النبيين ﷺ وثقته بما جاء من عند ربه من دين الإسلام؛ الذي كان رسالة الإنسانية الكاملة الأخيرة.

يقول المؤلف عن كتابه هذا :

"يشتمل هذا البحث على تمهيد يتضمن الحديث عن المجتمع الذي عاصره محمد إقبال وعاشره سياسياً وثقافياً ودينياً، وعلى أبواب وفصول تتضمن سيرته وآثاره ومعتقداته وأفكاره وتأثيرها على الأمة الإسلامية، وبالأخص ما يختص بنقد الحضارة الغربية بما لها وما عليها".

ونحن إذ نهنئ الدكتور خليل راز على إصداره هذا الكتاب القيم، نرجو أن ينال انتشاراً وقبولاً في جميع الأوساط العلمية والأدبية والدينية، والله ولي التوفيق.

"نقوش معارف"

هذا الكتاب ألفه الشيخ عبد الله المبارك الندوي، وقد استفاد في

عرض مسائل الحياة اليومية فيه والتوجيهات الدينية من تفسير العلامة الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله "معارف القرآن" الذي يعتبر من جوامع التفاسير في هذا العصر، بحث فيه العلامة المفسر جميع ما يتعلق بحياة المسلم من المسائل والقضايا.

ومن ثم كان كتاب "نقوش معارف" ذا قيمة دينية علمية لا يستهان بها، وهو يحتوي على علوم ومعارف لا توجد في تفسير آخر بمثل هذه الجامعية، فكان تلخيص وجمع هذه العلوم والمعارف عملاً مباركاً، نرجو أن ينال الإعجاب والقبول في جميع الأوساط من العامة والخاصة.

جزى الله المؤلف العزيز على هذه الهدية الغالية خير ما يجزي به عباده المؤمنين، وتقبل جهوده و وفقه لمزيد من التأليف والتحقيق، والله المستعان.

"الهدية والرشوة" في ضوء الكتاب والسنة

ألف هذا الكتاب فضيلة الشيخ محمد رحمة الله الندوي؛ المقيم في مدينة الدوحة بدولة قطر، لبيان الفرق بين الهدية والرشوة، القضية التي اختلط مفهومها لدى كثير من العامة والخاصة، والكتاب يحتوي على ستة أبواب، الباب الأول يتضمن أحاديث الرسول الكريم ﷺ حول الهدية، والترغيب في تبادل الهدايا بين المسلمين، والباب الثاني يشتمل على الهدايا التي أهديت إلى رسول الله ﷺ، وفي الباب الثالث يتحدث عن الهدايا التي أهداها رسول الله ﷺ إلى أصحابه رضي الله عنهم، و وفود العرب التي وفدت إلى رسول الله ﷺ، الباب الرابع في الهدايا التي قُدمت إلى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، أما الباب الخامس فيشتمل على أحكام متفرقة عن الهدايا.

الباب السادس يتعلق بكلمة الرشوة لغةً واصطلاحاً، وبيان أخطارها ونحسها والآفات الدينية والدنيوية التي تعم من أجلها في

المجتمعات البشرية، وفيه بيان كاف عن أحكام الرشوة من خلال آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وعن المبررات التي يجوز فيها استعمل الرشوة.

والكتاب ذو فوائد علمية ودينية مهمة في هذا الموضوع، وجدير بأن ينتشر في جميع البيئات والمجتمعات، حتى يستفاد منه في زمن كثر فيه الارتشاء بغير خوف من عواقبه.

"مسائل العمامة ومسائلها"

أهدى إلينا فضيلة الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي حفظه الله تعالى هذا الكتاب، الذي يحتوي على مسائل وأحكام عن العمامة، صدر هذا الكتاب من المكتبة اليحيوية من مدينة (سهارنفور - الهند) واهتم بطبعة فضيلة الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي أطال الله بقاءه.

والعمامة من سنة النبي الكريم ﷺ التي اتبعها علماء الإسلام وأعاروها أهمية كبيرة وذلك في ضوء الكتاب والسنة.

الكتاب يشتمل على ستة عشر باباً:

الباب الأول: في أهمية السنة، في مرآة أحاديث الرسول الكريم ﷺ.

الباب الثاني: العمامة في ضوء القرآن الكريم.

الباب الثالث: فضيلة العمامة في ضوء الأحاديث النبوية.

الباب الرابع: فضيلة الصلاة بالعمامة.

الباب الخامس: عمامة النبي الكريم ﷺ الشريفة وذكرها.

وهكذا يشتمل هذا الكتاب على بيان فضائل العمامة وعمومها بين أوساط السلف والخلف.

أرى أن مطالعة هذا الكتاب يفيد جماعة العلماء، وخاصة المشايخ الكبار الذين يشتغلون بنشر العلم والقيام بالدعوة إلى الله تعالى.

جزى الله المؤلف الكريم على تأليف هذا الكتاب بأحسن ما يجزي به عباده المؤمنين، ويوفقه إلى مزيد من اتباع السنة ونشرها.

إلى رحمة الله تعالى :

الأستاذ عثمان غني ، الصحافي الكبير ، في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى الصحافي الكبير الأستاذ عثمان غني بعد ما ظل فريسة للأسقام وطريح الفراش إلى ملة ، وبعد ما كسب شهرة كبيرة في مجال الصحافة الأردية في الهند ، وأسهم في إصدار الصحيفة : "قومي آواز" اليومية إلى مدة طويلة ، فإنَّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُوْنَ .

وقد استأثرت به رحمة الله تعالى في يوم الجمعة ٢٥/من شهر أغسطس عام ٢٠٠٦م ، الموافق ٢٩/من شهر رجب سنة ١٤٢٧هـ .

كان الراحل الكريم محبباً في أوساط الصحافة الهنديةِ وأليفاً لدى أصحابها ، كانت صحافته تسير على درب هادف مستقيم لا تتعرض للسلبيات والسياسات الرخيصة ولا للموضوعات المطروقة ، إنما كان يهتم بصحافة سليمة ، ويعتني بمشكلات البلاد والشعب ، ويكتب بقلمه ما يفيد في هذا الموضوع بالإشارة إلى حلول ناجعة لها ، وكان مهنته نزيهة طيبة ، حينما نرى أن أصحاب الإعلام طالما ينتهزون الفرص ويهتمون بما يثيرون به ضجة في عالم الصحافة ، ويصرفون اتجاه الناس من جهة إلى أخرى .

كان يزور ندوة العلماء ويحضر في بعض المناسبات ، وكانت له علاقته مخلصة بها وبرجالها ، وعلى رأسهم سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله .

ونحن إذ نعزى الراحل الكريم وأقرباءه وأصدقاءه ، نبتهل إلى الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر له زلاته ، ويصفح عنه خطاياه ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فاتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥١/عاماً بالاستمرار ، ويبتدئ بهذا العدد عامها الثاني والخمسون - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

والعنوان التالي :

مكتب "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - ص.ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

ص.ب ٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)